زبدة المقول

على ثلاثة الأصول

ويليه

التبيان الألمع

على القواعد الأربع

لشيخ الإسلام المجدد الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي

رحمه الله وطيب ثراه

شرحه وحققه وعلق عليه

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد باجمال



زُبْدَةُ الْمَقُولِ
عَلَىٰ
ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٢١٩٥٢

دار الآثار للنشر والتوزيع

٢٨ شارع منشية التحرير - جسر السويس - عين شمس الشرقية
القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف وفاكس / ٠٠٢٠٢٢٦٣٦٣٧٨٦ - ٠٠٢٠٢٢٦٤٢٢٣٢٣
جوال/ ٠٠٢٠١٠٠١٠٥٠٦٠٢ - ٠٠٢٠١٠٠١٢٢٠٨٣٧
E.MAIL: tarek1-tttt@hotmail.com
d_alathar@hotmail.com

زُبْدَةُ المَقُولِ
عَلَى
ثَلاثَةِ الأُصُولِ

لِشيخِ الإسلامِ المجدِّدِ الإمامِ

محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سُليمان النجدي

رحمهُ اللهُ وطيب ثراه

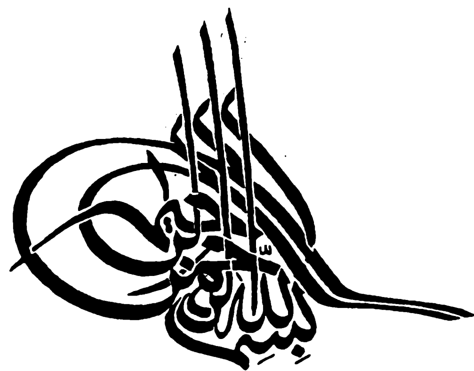
(١١١٥ - ١٢٠٦)

شرحه وحققه وعلق عليه

أبو عبد الله

مُحمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد باجمال

دار الآثار
للنشر والتوزيع



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن كتابَ «ثلاثة الأصول» للإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله كتابٌ مفيد للغاية، يُحتاج له ولمثله في البداية والنهاية، فلذا أولاه علماؤنا فائقَ العناية، -حفظًا، ونشرًا، وشرحًا، وإيضاحًا، وتحشية، مبسوطًا ومختصرًا- على طلابهم، وروّاد حلقاتهم، -صغارًا وكبارًا، شبابًا وشيبانًا-؛ لأنه ضَمَّ أوجبَ الواجبات، وآكدَ الفرائض المتحتمات، وأهمَّ المهمات، والتي لا سعادة لعبد في دنياه وأخراه إلا بتحصيله وأخذه والعمل به حتى الممات.

ومشاركة مني في هذا المضمار، عظيم الخير والثمار:

١- جعلت عليه شرحًا وجيزًا منذ ستة عشر سنة تقريبًا، أفدت به نفسي وأهلي وولدي وغيرهم فيما مضى، وأقدمه لإخواني المحبين للتوحيد والسنة فيما يأتي -بإذن المولى سبحانه-.

٢- وقد جعلت له أبوابًا ليسهل الوصول إلى المقصود بسهولة، وقسمته على تقدير الدرس اليومي كلٌّ بحسبه.

٣- عزوت آياته إلى السورة مع رقم الآية.

٤- خرجت الأحاديث معزوة إلى مصادرها مع بيان درجتها.

٥- مقابلة النص على مخطوط من مكتبة عنيزة.

٦- ضبط المتن بالشكل.

٧- ترجمة مختصرة للمصنف.

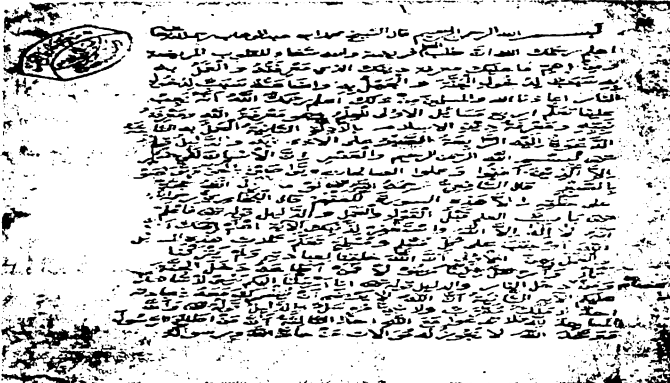
وأسأل الله أن ينفعني به وينفع من شاء من خلقه كما نفع بأصله كثيرًا، نفعًا كبيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعليه المستعان فيما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على عبده ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى خطاه.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته:

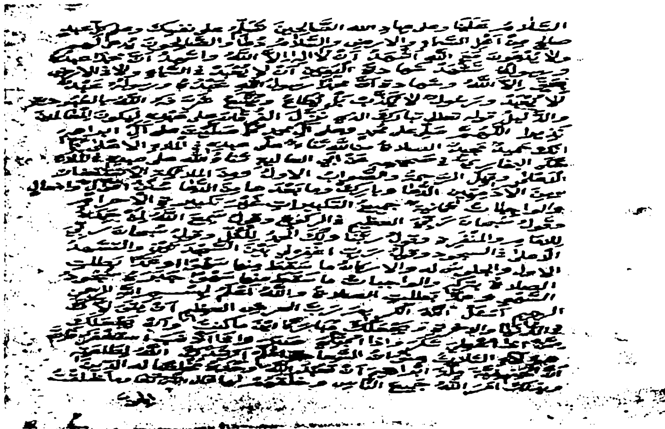
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد باجمال

فجر الأحد الثامن من شهر صفر عام ١٤٣٦هـ

نماذج من المخطوط



صورة من الصفحة الأولى



صورة من الصفحة الأخيرة

ترجمة مختصرة عن المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نسبته:

هو شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من بني تميم.

مولده:

ولد في بلدة العيينة سنة ١١١٥هـ في بيت علم وفضل، فأبوه وجده سليمان كانا من العلماء الأجلاء بنجد في زمانهم، وأخوه سليمان، وعمه إبراهيم، وابن عمه عبدالرحمن، كانوا معروفين بالعلم والفقه وحب طلبه.

نشأته:

نشأ في بيت مجد وعلم، وشرف وفقه، وكرم وتواضع، وأخلاق حسنة، وصفات فاضلة، فكان بيته المدرسة الأولى، فما احتاج إلى المكاتب كالصبيان الآخرين، ومدرسه الأول في هذا البيت هو أبوه، فقد حفظ على يد والده القرآن قبل أن يبلغ سن العاشرة، ثم قرأ عليه مبادئ الصرف والنحو وقواعد اللغة العربية، وبعض كتب الفقه والحديث على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله وبعض كتب التفسير، وكان حريصًا على تفهم ما يقرأه ويسمعه ، تفهمًا دقيقًا، مما أثار إعجاب والده واستبشاره به، لِما رأى عليه من الحرص على العلم والفطنة، والذكاء وقوة الحافظة.

ثم بعد ذلك ذهب يطلب العلم في نواحي نجد ومكة والمدينة، وقرأ وتتلمذ على علمائها في فنون شتى، حتى حاز إجازة بالأمهات، وكان يحفظ متونًا كثيرة في فنون متنوعة.

وكان لا يسأم من الكتابة والبحث، فقد خط كتبًا كثيرة بيده من مؤلفات شيخ الإسلام ابن

تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله- وكان ذلك سببًا كبيرًا في معرفته دعوة التوحيد والسنة، فلاحظ في نجد وفي غيرها من البلاد الإسلامية وجود الشرك والبدع فيها، فبدأ بإنكارها سرًّا، فلقي بسبب ذلك أذية شديدة مما جعله يختار الخروج من بلده العيينة ويذهب إلى حريملاء، ثم العراق ثم الشام، ثم آل أمره بالرجوع إلى بلده بعد أن بلغه مرض أبيه - وكان برًّا بأبيه- وكان أبوه موافقًا لدعوته، لكن كان ينصحه بالصبر والتأني، وذلك بسبب انتشار الجهل في أوساط الناس، فأخذ بنصيحة أبيه وصبر.

فلما توفي أبوه سنة ١١٥٣هـ جهر بالدعوة إلى التوحيد والسنة، والتحذير من دعوة الشرك والبدعة، والإنكار على دعاتها، فلقي بسبب ذلك أذية شديدة، لكنه صبر حتى فرج الله عليه ببعض الولاة من آل سعود فنصروه وأعانوه، حتى قويت شوكته، وذاع خبره، وانتشر صيته، وعمد بعد ذلك إلى المكاتبات، وإرسال الرسائل للقبائل ومن عُرف بالعلم، بدعوتهم إلى الإسلام الصحيح ونبذ الشرك والبدع، فكانت نتيجة هذه الجهود: اقتناع البعض بالحق والاستجابة إليه، وتمرد البعض الآخر وإصرارهم على باطلهم والاستمرار فيه، فقام بقتالهم وجهادهم؛ لأن الحجة قد قامت عليهم، فنصره الله وأظهر الدعوة الحق، ودمغ الباطل، وشهد له العلماء بأنه من المجددين لهذا الدين بعد أن اندرس شيء كبير من محاسنه ومعالمه الجميلة.

أولاده :

ولما كان هذا الإمام بالصفات السالفة الذكر، من الحرص على نشر الخير والجد فيه، ترعرع في أحضانه، ونشأ على يديه، أولاد صالحون، صاروا من بعده أئمة للأمة، وأنوارًا لها، وعلماء ناصحين، ودعاة للحق، وحربًا على الباطل وأهله وهم:

عبدالله وحسن وحسين وعبدالعزيز وعلي.

ولم ينقطع علمهم بموتهم، بل بلغوه من بعدهم إلى يومنا هذا، فصاروا سلسلة علمية

متتابعة بالخير من آثار هذا الإمام رحمه الله.

مؤلفاته:

١- من أشهرها وأحسنها وأعظمها نفعًا: كتاب التوحيد.

٢- ثلاثة الأصول -وهو الذي نحن بصدد شرحه-.

٣- أصول الإيمان.

٤- كشف الشبهات.

٥- نواقض الإسلام.

٦- كتاب الكبائر.

٧- مختصر الإنصاف.

٨- مختصر الشرح الكبير.

٩- مختصر زاد المعاد.

وله فتاوى ورسائل عدة رحمه الله مطبوعة في كتاب مستقل.

وفاته:

وبعد حياة مليئة بالعلم والفقه، ونشر التوحيد والسنة، وجهاد دعاة الشرك والوثنية والبدعة، مرض بمرض لم يلبث يسيرًا بعده حتى مات في بلدة الدرعية سنة ١٢٠٦هـ وبها قُبر.

وقد حزن الناس بموته حزنًا شديدًا -وحُقَّ لهم والله- وصُلي عليه في المسجد الجامع، وقد حضر جنازته جمع كبير، وعدد غفير، للصلاة عليه.

مناقبه:

ما تقدم من سيرته وحياته كلها مناقب، لكن أردنا أن نشير لشيء آخر ألا وهو : أن كل من

جاء بعده من ذريته نسب إليه فيقال: فلان بن فلان آل الشيخ، أي آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.



الأربع المسائل

قال المصنف رحمه الله:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اِعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ).

الشرح: ______________________________

قوله: (**بسم الله**) ابتدأ المصنف رحمه الله بالبسملة لأمرين:

الأمر الأول: اقتداءً بكتاب الله وبفعل رسول الله ﷺ في كتاباته إلى الملوك فقد جاء في البخاري (٧) عن ابن عباس عن أبي سفيان رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عَبْدِ الله ورسولِه إلى هرقل عظيم الروم**».

وهو فعل السلف في كتاباتهم وخطبهم، وأما حديث: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بـ: بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**» وفي رواية: «**فهو أقطع**» لا يثبت، **انظر:** الإرواء أول حديثين.

الأمر الثاني: ابتدأ بها تبركًا باسم الله على إتمام وإكمال الكتاب.

وقدره بعضهم: (**أبدأ بسم الله**) أو (**بسم الله أبدأ**) أي: مستعينًا بالله، واختار الأول ابن جرير رحمه الله في تفسير سورة الفاتحة.

قوله: (**الرحمن الرحيم**) هما اسمان لله يؤخذ منهما صفة الرحمة، والرحمن خاص في التسمية لله، والرحيم عام لله ولغيره. والرحمن عام في الرحمة فيشمل المسلم والكافر، وجميع المخلوقات، والرحيم خاص بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

قوله: (**اعلم**) هذه الكلمة يُؤتى بها لتنبيه السامع أو القارئ لما سيلقى عليه.

قوله: (**رحمك الله**) دعاء للطالب، وهذا دليل على عطفه، وهو سبب لإقبال الطالب عليه.

والمؤلف لم يقل: رحمني الله وإياك، لعله استنادًا لما رواه مسلم (٢٧٣٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**» ومن رحمة الله للعبد: هدايته له وتثبيته على الاستقامة، وإدخاله جنته.

قوله: (**أنه يجب علينا**) أي: يلزم على كل مكلف من ذكر أو أنثى تعلم هذه المسائل.

والواجب هو: اللازم، وهو ما يثاب عليه فاعله امتثالًا، ويستحق العقاب تاركه.

قوله: (**تعلم أربع مسائل**) هذه المسائل التي ذكرها المؤلف جديرة بالعناية والاهتمام، لأنها تبصر المسلم بدينه وما يجب عليه.



المسألة الأولى

قال المصنف رحمه الله:

الأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

الشرح: ________________

قوله: (**الأولى: العلم**) أي: علم الكتاب والسنة، وهو العلم النافع، وفضائله كثيرة، ومناقبه غزيرة، ويكفي في ذلك: أن الله ﷻ لم يأمره نبيه ﷺ بالازدياد من شيء مثل العلم، قال سبحانه: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه:١١٤]، والعلم طريق موصل لسالكه إلى الجنة، كما في صحيح مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل اللهُ له به طريقًا إلى الجنة**».

وطلب العلم الشرعي واجب على كل مسلم ومسلمة، كما في ورد في الحديث: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»، وله شواهد كثيرة قواه بعضهم، والعلماء متفقون على صحة معناه.

انظر: الشعب للبيهقي (٢/ ٢٥٣)، وضعفاء العقيلي (٢/ ٢٣٠).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٦) بعد أن صحح معناه: ... ثم شرائع الاسلام واجبة على كل مسلم، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، فطلب العلم فريضة على كل مسلم، وهل تُمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم، وهل يُنال العلم إلا بطلبه. اهـ.

أقسام العلم: ينقسم العلم إلى قسمين:

الأول: فرض عين، مثل: التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج.

والآخر: فرض كفاية، مثل: تعلم مصطلح الحديث، والنحو، وعلوم الآلة، وفروع المسائل.

وأشرف العلوم: علم التوحيد، وقد قيل: شرف العلم بشرف المعلوم.

انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٢٨٩-٢٩٠)، ومفتاح دار السعادة (١/ ١٥٦-١٥٩).

قوله: (**وهو معرفة**) انتقدها بعضهم بحجة أن المعرفة جاءت في القرآن على وجه الذم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، وأن الأولى أن يقال: العلم بالله، وأجيب عليهم بعدة أحاديث منها حديثان لابن عباس رضي الله عنهما:

الأول: في البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩) أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله**» الحديث.

والثاني: عند أحمد (١/ ٣٠٧)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣) وهو حسن بشواهده: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»، وهما صريحان في صحة التعبير بها، وقد عبر بها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في بعض كتاباتهم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الفوائد (ص١٧٠): **معرفة الله سبحانه نوعان: معرفة إقرار** وهي التي اشترك فيها الناس - البر والفاجر، والمطيع والعاصي - .

والثاني: معرفة تُوجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخالصة.اهـ.

والثاني هو مراد المؤلف.

فإن قال قائل: إن معرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام، معرفة معلومة لا داعي لذكرها؟.

فيقال له: إن المصنف كان في زمن انتشر فيه الجهل والشرك والبدع والخرافات، فأراد أن يجدد للناس هذه الأمور، فإن الواحد منهم يدعو غير الله، ويفعل ويفعل، ويقول: أنا مسلم؛ لأنه يصلي ويصوم فيظن أن الدين هو الصلاة والصيام.

قوله: (ومعرفة نبيه) أي: معرفة اسمه، وموطنه، وسيرته، ودعوته؛ لاتباعه والاقتداء به، إذ هو الواسطة بيننا وبين الله.

والواسطة قسمان:

واسطة تبليغ وهم الرسل المبلغون عن الله، وهذه واسطة يجب الإيمان بها.

وواسطة تعبد وهذه شرك بالله، كقول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]

قوله: (ومعرفة دين الإسلام) هو دين الرسل قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

قال المصنف رحمه الله كما في الدرر السنية (٥/ ٣٣٧): اعلم - رحمك الله -: أن طلب العلم فريضة، وأنه شفاء للقلوب المريضة، ومِنْ أَهَمِّ ما عليك معرفة دينك، الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك. اهـ.

فهذه دعوة من المصنف أن يشمر الطالب، وباغي الحق، والحريص على الهدى، والمجتهد في تحصيل سبيل الرشاد، إلى بذل الوسع في معرفة دين الله الحق الذي أرسل به نبيه محمدًا ﷺ، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

ﵟٱلۡمُشۡرِكُونَﵞ [التوبة:٣٣]، وقال: ﵟهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗاﵞ [الفتح:٢٨].

ودين الله الحق هو الدين الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يقاتل الناس من أجله حتى يتمسكوا به، فقال: ﵟوَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِﵞ [البقرة:١٩٣]، وفي الآية الأخرى: ﵟوَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِﵞ [الأنفال:٣٩].

وقال تعالى مبينًا أهمية معرفة دينه، والإخلاص فيه، ليسلم العبد من الخسارة الأبدية: ﵟوَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَﵞ [آل عمران:٨٥].

وأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يعلنها صريحة: ﵟقُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِﵞ [الزمر:١٤-١٨].

ولا يتم للعبد معرفة الدين إلا بالتعلم، ولا تتم نجاته إلا بالعمل بالعلم، وهذا هو سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، بخلاف اليهود الذين علموا فلم يعملوا، وبخلاف النصارى الذين جهلوا والعلم عندهم فلم يتعلموه.

وقد أمر الله نبيه ﷺ بالتعلم فقال: ﵟفَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُﵞ [محمد:١٩].

وأنزل جبريل ؑ يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان معلمًا لهذه الأمة دينها، كما سيأتي -إن شاء الله- موضحًا من كلام المصنف ؒ بدلائله النيرة، وإيضاحاته الخيِّرة.

قوله: (**بالأدلة**) قيد واجب؛ لأنه لا يجوز التقليد في معرفة الله ورسوله ودين الإسلام، الذي بسببه انتشر الجهل بين الناس، وبعضهم يقول: عرفنا ربنا بالعقل والإلهام، وهو قول مبتدع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مفتاح دار السعادة (١/ ٨٣): من فارق الدليل ضل السبيل. اهـ.



المسألة الثانية والثالثة والرابعة

قال المصنف رحمه الله:

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ. الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيه.

الشـرح: ـــــــــــــــــــــــ

قوله: (**الثانية: العمل به**) وهو ثمرة العلم، والذي لا يعمل بعلمه مهدد بالعذاب الأليم، ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

والعمل بالعلم سبب لحفظ العلم، قال وكيع: إذا أردت حفظ الحديث فاعمل به.

والذي لا يعمل بالعلم يشبه اليهود، قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود. اهـ من تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾ [التوبة:٣١].

والعمل له ميزانان: ميزان ظاهر وهو حديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وميزان باطن وهو حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم شرح الحديث الخامس.

قوله: (**الثالثة: الدعوة إليه**) فإن من رزقه الله العلم والعمل وجب عليه أن يدعو إلى ذلك كما هي طريقة الرسل وأتباعهم، وما وصل إلينا هذا العلم إلا ببثه ونشره والدعوة إليه.

والدعوة إلى الله عز وجل من أفضل الأقوال وأحسنها قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت:٣٣].

وشرط الدعوة إلى الله: أن يكون عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، ورفيقًا بما يأمر وينهى، وصابرًا على ما يأتيه من الأذى، ولم يقم أحد بهذه الشروط إلا أهل السنة والجماعة.

قوله: (**الرابعة: الصبر على الأذى فيه**) لأن ما من أحد يدعو بدعوة الرسل إلا أوذي وعودي، كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ، ولنا في سيرة الأنبياء وأتباعهم تسليةٌ، ومَثَلٌ يُحتذى به، فإن منهم من رُجم، أو طُرد، أو ضُرب، أو سُجن، أو قُتل، ومنهم من افتري عليه بأنه كذاب، ساحر، شاعر، كاهن، وغير ذلك، ومع هذا كله رفع الله ذكرهم، وجعلهم أئمة يُقتدى بهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

هذه المسائل الأربع ذكرها ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٩)، ومنه استفادها المصنف.



دليل الأربع المسائل

قال المصنف رحمه الله:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:١٩]، [فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ](١).

الشرح:

قوله: (والدليل) أي: على هذه المسائل الأربع.

قوله: (﴿وَالْعَصْرِ﴾) الواو حرف قسم، والله له أن يُقسم بما شاء. والعصر: قيل هو: وقت صلاة العصر، وقيل هو: عصر النبي ﷺ، وقيل هو: الدهر والزمان؛ لأنه محل الأعمال، وهو الراجح من هذه الأقوال.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من المطبوع، ليست في المخطوط.

قوله: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾) أي: إن جنس الإنسان في خسارة إلا من أتى بالخصال الأربع المذكورة، وهي: الإيمان، والعمل، والدعوة، والصبر.

والصبر: حبس النفس، وهو ثلاثة أقسام، قال الحافظ في الفتح (٦٤٧٠): صبر عن المعصية فلا يرتكبها، وصبر على الطاعة حتى يؤديها، وصبر على البلية فلا يشكو ربه فيها. اهـ.

فاشتملت هذه السورة على جميع هذه المسائل الأربع، فكان استدلال المؤلف بها مسددًا لا كلفة فيه.

قوله: (**قال الشافعي -رحمه الله تعالى-**) هو: محمد بن إدريس القرشي الإمام الشهير أحد الأئمة الأربعة من طلاب مالك، ومن طلابه أحمد -رحم الله الجميع- ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي سنة (٢٠٤هـ) وهو من المجددين، له فضائل ومناقب كثيرة، صنف فيها العلماء.

قوله: (**لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**) المشهور عن الإمام الشافعي رحمه الله بلفظ: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم.

ومما يدل على عدم ثبوتها بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف: نكارة لفظها؛ لأن هذه السورة لم تجمع أحكام الفقه من طهارة وصلاة وزكاة وصيام وحج، فكيف كفتهم؟!.

والمؤلف ذكر قول الشافعي حتى يعرف المخالفون والمعاندون له أنه مسبوق فيما تقدم.

قوله: (**قال البخاري رحمه الله تعالى**) البخاري هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبدالله، الإمام الحافظ الجهبذ الناقد صاحب الصحيح، ولد سنة (١٩٤هـ) ببخارى، ونشأ يتيمًا في حجر والدته، وتوفي سنة (٢٥٦هـ).

قوله: (**باب العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى:** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ الله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾) استدل البخاري بهذه الآية على وجوب العلم قبل القول والعمل، كما هو

واضح، فقوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أمرٌ بالعلم، وقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ أمرٌ بالعمل بالعلم ثانيًا، وهذا يدل على أن العلم مصحح للنية المصححة للعمل، قاله ابن المنير كما في الفتح (١/ ٢١٦).

قوله: (فبدأ بالعلم) انتهى كلام الإمام البخاري رحمه الله، وأما قوله: (**قبل القول والعمل**) فليس من كلام البخاري ولعل المصنف كتبه من حفظه، أو أنه ذكره شرحًا وإيضاحًا.



الثلاث المسائل

قال المصنف رحمه الله:

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِلِ،[1] والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا،[2] وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥-١٦].

الشـرح: ________

قوله: (اعلم رحمك الله أنه يجب) تقدم الكلام عليها.

قوله: (على كل مسلم ومسلمة) أي: من المكلفين حرًّا كان أو عبدًا.

قوله: (والعمل بهن) لأن من واجبات العلم: العملَ به، وهذه المسائل الثلاث هي الآتية.

قوله: (الأولى: أن الله خلقنا، ورزقنا) أي: أوجدنا من العدم، وأعطانا أنواعًا -حسية ومعنوية- من النعم؛ لغاية عظيمة وهي عبادته وحده لا شريك له، والاستقامة على شرعه.

---

(١) الذي في المخطوط: [تعلم ثلاث هذه المسائل].

(٢) الذي في المخطوط: [خلقنا لعبادته].

قوله: (ولم يتركنا هملًا) أي: مُهْمَلين كالبهائم لا نُؤمر ولا نُنهى، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦].

ومعلوم: أن أفعالَ الله أفعالُ كمال، فلو أن الله خلق الخلق هَمَلًا لا لغاية، لما دل هذا على كمال أفعاله، فكان من كمالِ أفعالِه أَنْ خَلَقَ الخَلْقَ لغاية جليلة، وأمر عظيم وهو عبادته سبحانه.

قوله: (بل أرسل إلينا رسولًا) هو: محمد ﷺ أرسله الله إلى الثقلين -الجن والإنس- بشيرًا ونذيرًا بالهدى ودين الحق، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر:٢٤]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩]، وسيأتي مزيد إيضاح عن نبينا محمد ﷺ في الأصل الثالث -إن شاء الله-.

قوله: (فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار) والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٣-١٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

ويقول النبي ﷺ: «**كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»، رواه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن قرأ القرآن بتدبر وَجَدَ أن الله قرن طاعة رسوله بطاعته في كثير من الآيات، بل وجعل طاعته طاعة له فقال: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠].

ثم ذكر المؤلف الدليل على أن الله أرسل محمدًا ﷺ إلينا فقال:

(**والدليل قوله تعالى**: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلًا**﴾) أي: شديدًا، وفي آخر الآية تحذير الأمة من مخالفة النبي ﷺ بأن يكون مآلهم إن عصوه، مثل فرعون وقومه لما عصوا نبي الله موسى عليه السلام.



المسألة الثانية

قال المصنف رحمه الله:

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

الشـرح:

قوله: (الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته) سواء كانت عبادة قلبية كالخشية والإنابة والمحبة. أو عبادة قولية مثل: الحلف. أو عبادة فعلية مثل: الذبح.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] والكفر أعم من الشرك، وفي الحديث: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا**» الحديث، أخرجه مسلم (١٧١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والشرك شركان:

أحدهما: شرك التشريك، وهي دعوة غير الله معه، وهو الغالب على المشركين.

والآخر: شرك التعطيل، وهو دعوة غير الله فقط، وهذا النوع قليل، وهو أقبح.

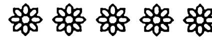
انظر: الفتاوى (١٤/ ٣٧٠-٣٧١).

قوله: (لا مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل) قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠]، فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية

أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا هو الكفر، فإذا كان هذا بمخلوقاته المقربين فمن دونهم من باب أولى كما قال المؤلف في كشف الشبهات: فضلًا عن غيرهما. اهـ.

والنبي ﷺ قال: «**لن يدخل الجنةَ أحدٌ بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»، رواه البخاري (٦٤٦٣-٦٤٦٤) ومسلم (٢٨١٦ و٢٨١٨) عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما، ورواه مسلم (٢٨١٧) عن جابر رضي الله عنه.

قوله: (والدليل قوله تعالى: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾**) هذا نهي عام لجميع المكلفين من جن أو إنس، والله سبحانه لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه ولا يحبه، بل يكرهه ويبغضه كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧].



المسألة الثالثة

قال المصنف رحمه الله:

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشرح: ________________________

قوله: (**المسألة الثالثة: أن من أطاع الرسول، ووحد الله**) هذا لا يدل على تقديم طاعة الرسول على توحيد الله؛ لكن -والله أعلم- يريد أن توحيد الله لا يُعرف إلا بطاعة الرسول ﷺ فيما جاء به. أو كان هذا منه تبعًا لترتيب المسائل.

وقوله: (**وحد الله**) أي: في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

قوله: (**لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب**) هذه المسألة فيها تحذير المسلم المستقيم، ونهيُه عن مولاة الكافرين، ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه وهلم جرا، ومن والى الكافرين فهو على خطر عظيم.

والموالاة تنقسم إلى كبرى وصغرى، وبعضهم يقول: تولي وموالاة.

فالكبرى أو التولي هي: مودة ومحبة الكافرين، ومحبة دينهم والفرح بانتصارهم وظهورهم على الإسلام والمسلمين، وهذا يعتبر صاحبه كافرًا كفرًا أكبر.

والصغرى أو الموالاة هي: إظهار محبة الكفار لمصلحة دنيوية مع أنه لا يحبهم، ولا يفرح بانتصارهم وظهورهم على الإسلام والمسلمين.

وهذا القسم اختلف فيه أهل العلم فمنهم من حكم على كفره، ومنهم من قال: لا يكفر، والثاني هو الصواب؛ لقصة حاطب بن أبي بلتعة ﵁، وبعضهم جعلها خاصة به، ولا دليل على التخصيص إذ أن النبي ﷺ قال له: «**ما حملك على ما صنعت**»، وموضع بسط المسألة في الناقض الثامن من نواقض الإسلام.

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الخ) هذه الآية فيها أن الموالاة تكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وأما أهل المعاصي وأهل البدع غير المكفرة تكون موالاتهم على قدر ما فيهم من طاعة، وبغضهم على قدر ما فيهم من معاصٍ وبدع، لا موالاةً وبراءةً كاملة، وهذا هو سبيل حزب الله المفلحين الفائزين بجنات النعيم ورضوان رب العالمين.



بيان الحنيفية

قال المصنف رحمه الله:

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ-، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

الشــرح: ________________

قوله: (اعلم) تقدم الكلام عليها.

قوله: (أرشدك) أي: هداك ووفقك وألهمك إلى ما ينفعك في دينك ودنياك وآخرتك.

والرشد: هو الاستقامة على طريق الحق والتوحيد والسنة وكل خير، وضدها طريق الغي، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

قوله: (لطاعته) أي: للانقياد والاتباع لأوامر الله، والاجتناب والابتعاد عن نواهيه؛ لأن ذلك سبب الفوز قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١].

وقول المؤلف: (**اعلم أرشدك الله لطاعته**) فيه التلطف والشفقة والرحمة بالمخاطَب، وترغيب الطالب إلى ما يدعوه إليه من الحق والهدى.

قوله: (الحنيفية) مأخوذ من الحنيف وهو المائل، ومعناه شرعًا: الميل عن الشرك إلى التوحيد.

والحنيف: هو المستقيم المستمسك بالإسلام، المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه.

قوله: (ملة) هي الطريقة التي يُسار عليها تدينًا وتعبدًا.

قوله: (إبراهيم)، إبراهيم باللغة السريانية معناه: أب رحيم، قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام (ص٢٦٧)، وذكره القرطبي في تفسيره (٢/ ٩٦) عن الماوردي.

فإذا قيل: كيف هو أعجمي وقد جاء اسمه في القرآن، والقرآن بلسان عربي مبين؟.

فالجواب: إن اسمه كان أعجميًا ثم نقل إلى العرب فصار عربيًا.

وملة إبراهيم كما بينه المصنف: (**أن تعبد الله مخلصًا له الدين**) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

والعبادة لغة: الذل، ومنه قولهم: طريق معبدة أي: مذللة.

وشرعًا: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ولا تقوم إلا على غاية الذل والخضوع لله عز وجل مع كمال المحبة والتعظيم.

انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩) والمدارج (١/ ٧٤).

وقوله: (وحده) تأكيد للإثبات متضمن النفي لما يُعبد من دون الله.

وقوله: (مخلصًا له الدين) أي: أن تنقي عبادتك لله وتجعلها صافية خالصة من الشرك.

والدين: كل ما يُدان الله به من العبادات الظاهرة والباطنة.

قوله: (وبذلك) أي: وبما تقدم.

قوله: (**أمر لله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ ومعنى يَعْبُدُونِ: يوحدون**) وروي عن ابن عباس كما في تفسير البغوي: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد.

وقال بعض أهل التفسير: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: يتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه، ومن أعظم أوامره التوحيد، ومن أعظم نواهيه الشرك، فالتوحيد داخل تحت التفسير الثاني دخولًا أوليًّا، وإنما فسره المؤلف رحمه الله بهذا؛ لأنه دال على المقصود.

قوله: (**وأعظم ما أمر الله به: التوحيد**) أي: توحيد الألوهية؛ لأنه دعوة الرسل، ودعوة الكتب، ولأجلها خُلقت الجن والإنس، وبها تُكفر الذنوب، ويُنجى من النار، ويُدخل الجنة، وبها بدأ الرسول ﷺ، وأمر من يبعثهم أن يبدؤوا بها.

قوله: (**وهو إفراد الله بالعبادة**) هذا هو توحيد العبادة، أو توحيد الألوهية وهما بمعنى واحد، إلا أن توحيد العبادة بإضافته للعباد، وتوحيد الألوهية بإضافته للإله.

قوله: (**وأعظم ما نهى عنه: الشرك**)، وهو لغة مأخوذ من المشاركة.

وأما في الشرع فعلى قسمين: أكبر وأصغر.

أما الأكبر: فقد اختلف أهل العلم في تعريفه، والفاصل فيه قوله ﷺ لما سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»، أخرجه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وأما الأصغر: فكل ما نهى عنه الشرع مما هو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وجاءت تسميته بأنه شرك.

ومما يدل على خطر الشرك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وقوله ﷺ كما في مسلم (٩٣) عن جابر رضي الله عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»، فهذا يدل على أن الشرك أخطر الذنوب وأعظمها.

قوله: (وهو دعوة غيره معه) أي: عبادة غيره معه؛ لأن الدعاء هو العبادة هكذا قال النبي ﷺ كما عند أحمد (٤/ ٢٦٧)، وأبي داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٤٣)، وابن ماجه (٣٨٢٨) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾) استدل المؤلف بهذه الآية على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهذه الآية تسمى بآية الحقوق العشرة.

ووجه استدلال المؤلف بها: أنه سبحانه بدأ بالأهم ثم ما دونه، فدل على أن أوجب الواجبات التوحيد، وأعظم المحرمات الشرك.

وهو أول أمر في كتاب الله عز وجل، قال جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].



الأصول الثلاثة

قال المصنف رحمه الله:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟.

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

الشرح: ________________

قوله: (ما الأصول الثلاثة) المؤلف بعد أن تكلم على هذه الأصول الثلاثة بالإجمال، شرع في التفصيل، والتفصيل بعد الإجمال فيه تشويق لمعرفة التفصيل، وإذا كان بلفظ السؤال كان أشوق إذ السؤال يشد الذهن، وهو أدعى إلى فهم ما يقال وضبطه، وهي سنة نبوية دلائلها كثيرة.

والأصل: هو ما يُبنى عليه، كأساس البيت ونحوه.

قوله: (**فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ**) المقصود من معرفة الأصول الثلاثة سعادة المرء في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: إن في الدنيا جنةً من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة. اهـ من مدارج السالكين (١/ ٤٥٤)، وهذه الجنة هي عبادة الله وحده، وطاعته، وترك معصيته.

وسيأتي الكلام على كل أصل من هذه الأصول الثلاثة -إن شاء الله-.

فإن قيل: لماذا اعتنى المصنف بهذه الأصول الثلاثة؟.

قلنا: لأن العبد لا يتم إيمانه إلا بمعرفتها والعمل بها، ولأنها التي يُسأل عنها العبد في قبره، فإن أجاب فاز وأفلح، وإلا خاب وخسر.

قوله: (**معرفة العبد ربه**) أي: إلهه؛ لكي يعبده وحده، والعلماء يقولون: الرب والإله اسمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. كالإسلام والإيمان، والفقير والمسكين، ونحوهما.

قوله: (**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ الخ**) هذا شروع في تفصيل الأصول الثلاثة التي تقدمت مجملة.

قوله: (**من ربك؟**) أي: من خالقك ورازقك ومعبودك، الذي ليس لك معبود سواه.

فإن قيل: يقول بعض المتصوفة: أنتم تفرقون بين توحيد الألوهية والربوبية، والملكان عندما يسألان العبد في قبره يقولان: من ربك؟ لا يقولان: من إلهك؟ فدل هذا على عدم التفريق، والمقصود هو توحيد الربوبية؟.

والجواب: أن المقصود بمن ربك؟ أي: من إلهك ومعبودك، إذ لو كان المقصود: مَنْ خالقك ورازقك؟ لأجاب على هذا أهل الشرك، وقد تقدم أن قلنا: أن الرب والإله إذ افترقا اجتمعا، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.

قوله: (**فقل: ربي الله، الذي رباني**) قال السعدي في تفسير سورة الفاتحة: التربية قسمان: تربية عامة، وتربية خاصة، فالعامة لجميع الخلق، والخاصة للمؤمنين. اهـ.

قوله: (**وربى جميع العالمين**) عُلم بقوله هذا أن مراده بالتربية التربية العامة لا الخاصة.

والعالمين: جمع عالم، وسيأتي تفسيره.

قوله: (**بنعمه**) أي: نعمه الظاهرة والباطنة، الحسية والمعنوية، ومن تلك النعم: أنه أوجدهم من العدم، وأسدل عليهم النعم، ونعم الله لا تُعد ولا تحصى، وكلُّ هذا لغاية عظيمة وهي: أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا.

قوله: (**وهو معبودي ليس لي معبود سواه**) أي: الله وحده إلهي ومعبودي لا أعبد أحدًا غيره.

قوله: (**والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**) الحمد هو: الثناء على المحمود بصفات الحسن والجمال مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

والرب مشتق من الملك والسيادة، وقيل: من التربية، وكلاهما صحيح، فهو المالك المتصرف المدبر.

واسم الرب لا يجوز إطلاقه إلا على الله تعالى، وأما غيره فبدون الألف واللام، كأن تقول: رب الأسرة، رب البيت ونحوه فيجوز، انظر الفتح (٢٥٥٢) وتفسير القرطبي (١/ ١٣٧).

قوله: (**وكل من سوى الله عالَم**) بفتح اللام.

اعلم بأن الوجود قسمان: ربٌّ، ومربوبٌ.

فالرب: هو المالك المنفرد بالربوبية، والإلهية.

والمربوب: هو العالَـم، وهو كل من سوى الله من المخلوقات، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤].

قوله: (**وأنا واحد من ذلك العالم**) أي: وأنا أدخل في العالم مع بقية المخلوقات.



دلائل معرفة الله سبحانه

قال المصنف رحمه الله:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟.

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:(١) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ: الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

---

(١) الذي في المخطوط: [﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر:٥٧]].

الشـرح:

قوله: (**فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته**) الآيات جمع آية، وهي العلامة، والمقصود بالآيات هنا الكونية لا الشرعية، والمؤلف أراد التدليل على وجوب عبادة الله بالإقرار بالآيات الكونية.

قوله: (**ومخلوقاته**) جمع مخلوق، وهو كل ما أوجده الله من العدم.

ثم ذكر المؤلف بعض آيات الله ومخلوقاته العظيمة فقال:

(**ومن آياته: الليل والنهار والشمس والقمر. ومن مخلوقاته: السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما**) وهذه الآيات والمخلوقات من نظر فيها وتفكر، لوجدها تسير على أكمل وجه، والكمال في مفعولات الله يدل على كمال أفعال الله، وكمال أفعال الله يدل على كمال صفاته، وكمال صفاته يدل على كمال أسمائه، وكمال أسمائه يدل على كمال ذاته سبحانه وتعالى فله الحمد وحده.

تنبيه: إذا قيل: إن المخلوقات من آيات الله الكونية فلماذا كرر؟.

قلنا: فعل هذا تماشيًا مع سياق الأدلة، ففي الليل والنهار والشمس والقمر قال الله: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِ**﴾، وفي خلق السماوات والأرض قال الله: ﴿**إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ .

لكن جعل الله السموات والأرض أيضًا من آياته، كما في قوله: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾

قال العلامة ابن القيم في الفوائد(ص٢٠) : إن الله يعرف بآياته المسموعة، ومفعولاته.اهـ.

ونحوه في مدارج السالكين(٣/ ٤٦٤) .

ثم ذكر المؤلف الأدلة على آيات الله الكونية ومخلوقاته فقال رحمه الله :

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾).

وقوله سبحانه: ﴿تبارك﴾ أي: تعاظم، والبركة صفة ذاتية وفعلية، فالذاتية أي: بلغ في البركة غايتها ونهايتها، وهي: بركة في نفسه بلفظ (تبارك). والفعلية هي: البركة في غيره بلفظ: (بارك الله فيك).

قوله: (والرب هو: المعبود) عرف المؤلف الرب بلازمه وهو: عبادة الله، ثم دلل عليه فقال:

(والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) هذه أول آية فيها أمر، وكان الأمر فيها بعبادة الله دلالة على أنه أعظم الواجبات.

والآية فيها أمر جميع بني آدم مسلمهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، صالحهم وفاسدهم، بعبادة ربهم سبحانه، ثم بيَّن بعد الأمر سبب أمرهم بعبادته وهو أنه الله الذي خلقهم هم ومن قبلهم، وأنه الذي جعل لهم الأرض فراشًا مهادًا، والسماء بناءً محكمًا لا تشقق فيها ولا انفطار، وأنزل لهم من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لهم، وقوتًا يعينهم على معايشهم، ثم قال لهم تنبيهًا وتوضيحًا -وهم يعلمون ذلك-: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أمثالًا ونظائرَ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن ربكم وخالقكم ورازقكم لا رب لكم سواه، ولا خالق ورازق لكم

غيره، ومع هذا أعرض من أعرض وكان مصيرُه نارَ جهنم، وقَبِلَ من قَبِلَ فعصمه الله، وأنقذه من عذابه والخلود في ناره، فكان مصيرُه ومأواه: جنةً عرضُها السماوات والأرض.

فكان تفسير المؤلف بأن الرب هو: المعبود موافقًا للدليل الذي ذكره.

قوله: (قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) ابن كثير هو: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ المشهور صاحب التفسير والتاريخ وغيرهما، توفي رحمه الله سنة (٧٤٤هـ).

أما بالنسبة لكلامه في تفسيره ليس باللفظ الذي ذكره المؤلف، فلعله كتبه من حفظه أو أراد مضمونه، وإلا فلفظه في التفسير: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده لا يشرك به غيره. اهـ.



أنواع العبادة

قال المصنف رحمه الله:

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْواعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

الشرح: ________________

قوله: (وأنواع العبادة التي أمر الله بها) لا على سبيل الحصر وإنما على سبيل التمثيل، إذ قال: (مثل: الإسلام والإيمان والإحسان) وهذه مراتب الدين وسيأتي بيانها في موضعها.

قوله: (ومنه) أي: من أنواع العبادة أيضًا التي أمر الله بها: (الدعاء، والخوف، والرجاء، ... وغير ذلك من أنواع العبادة، التي أمر الله بها كلها لله) وكل نوع من هذه الأنواع سيذكر المؤلف دليله، وأنها كلها لله تعالى.

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾) ووجه الاستدلال بهذه الآية قوله: ﴿فَلاَ تَدْعُوا﴾ أي: فلا تعبدوا، ﴿مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا.

قوله: (فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر) مثل أن دعا غير الله من الأموات والغائبين، أو رجاهم أو خافهم، أو سألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، أو غير ذلك فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة، كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة.

والشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله، واسم لمن لا إيمان له.

وقد يُفرق بينهما فيخص الشرك بقصد الأوثان وغيرها من المخلوقات مع الاعتراف بالله فيكون الكفر أعم. اهـ من حاشية ابن قاسم على ثلاثة الأصول.

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾) ﴿وَمَن يَدْعُ﴾ أي: ومن يعبد، ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ نكرة في سياق الشرط تفيد العموم، فيدخل فيه من هو دون الله سواء كان ملكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرة أو جنيًّا، ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ جملة اعتراضية بين الشرط والجزاء، يقول بعضهم: هي صفة كاشفة، ويقول بعضهم: لا مفهوم لها، أي: أنه لا يوجد إله غير الله يعبد ببرهان. ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ

﴿رَبِّهِۦٓ﴾ أي: أن الله سيحاسبه ويجازيه يوم الحساب والجزاء.﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ هذا وجه الاستدلال من الآية على أن من عبد غير الله صار كافرًا.

قوله: (وفي الحديث: « **الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ** ») هذا الحديث رواه الترمذي (٣٣٧١) عن أنس ﷺ وفيه علتان: **الأولى**: ابن لهيعة ضعيف. **الثانية**: عنعنة الوليد بن مسلم وهو مدلس يدلس تدليس التسوية، لكن يغني عنه ما جاء عند الخمسة – وقد تقدم– عن النعمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **الدعاء هو العبادة** » ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية التي استدل بها المؤلف.

والمعنى: أن الدعاء تتقوى به عبادة العابدين؛ لأنه روحها، كما أن الأعضاء والعظام تتقوى بمخها.

قوله: (**والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ الخ**) الدعاء هو: طلب الغير في جلب نفع أو دفع ضر.

والدعاء قسمان : دعاء عبادة وهو: طلب الثواب بفعل ما أمر به الشرع.

ودعاء مسألة وهو: سؤال الله في جلب المنافع ودفع المضار.

قوله: ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ لها تقديران وهما:

١ – ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ أي: دعاء عبادة ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ أي: أُثيبكم.

٢ – ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ أي: دعاء مسألة ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ أي: أُعطيكم.

وكلا المعنيين صحيح.

فائدة: طلب الدعاء من الرجل الصالح على أقسام:

١ – جائز وهو: ما يعود نفعه على السائل والمسؤول وجميع المسلمين، كقول الرجل لرسول الله ﷺ : ادعوا الله أن يسقينا.

٢- جائز أيضًا وهو: ما يعود نفعه للمسؤول والسائل تبعًا، ويستدل لهذا بقصة عمر مع أويس القرني في صحيح مسلم (٤٥٤٢)، فإنه طلب منه أن يستغفر له لأمر النبي ﷺ له بذلك، ولإظهار مكانة أويس، وإلا فعمر رضي الله عنه أفضل من أويس بلا خلاف.

٣- مكروه على الصحيح، وهو ما فيه مصلحة محضة للسائل، وأسباب الكراهة:

أ) مخالفة أمر الله بعدم سؤاله مباشرة.

ب) ذريعة إلى ألا يدعو الله مباشرة، فيبقى يا فلان ادعُ لي، ويا فلان ادعُ لي.

ج) قد يؤدي بإعجاب وغرور المسؤول لكثرة السائلين.

د) تضايق المطلوب منه الدعاء إذا كثر الطلب وتكرر.

هـ) الركون على دعاء الغير له، وربما اعتقد فيه.

ومن استدل على جواز هذه الصورة بقصة عمر رضي الله عنه مع أويس، فلا دليل له فيها كما تقدم.

ومن استدل بحديث: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**» فإنه حديث ضعيف رواه أبو داود (١٤٩٨) وفيه: عاصم بن عبيد الله العمري ضعيف.



الخوف

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

الشرح:

قوله: (ودليل الخوف) الخوف هو: هرب القلب من حلول مكروه عند استشعاره، فإن اقترن معه العلم بالله كان خشية. **انظر:** مدارج السالكين (١/ ٥١٢).

والخوف قسمان: محمود ومذموم.

فالمحمود: هو الذي يحمل صاحبه على فعل المأمور وترك المحظور، وهو على نوعين:

أ) ما يحمل صاحبه على فعل الواجبات وترك المحرمات.

ب) ما يحمل صاحبه على فعل المستحبات وترك المكروهات، وعدم التوسع في المباحات.

والمذموم: هو الذي يحمل صاحبه على اليأس والقنوط من رحمة الله، وممن وقع فيه عطاء السلمي فقد كان خوفه من الله شديدًا حتى صار به إلى القنوط.

انظر: المدارج (١/ ٥١٤).

والخوف يزيد بزيادة الإيمان وينقص بنقصانه.

والذي يحرك الخوف في قلب العبد: مطالعة آيات الوعيد والعذاب والزجر. **انظر:** مجموع الفتاوى (١/ ٩٦).

وأقسام الخوف أربعة:

١ - خوف عبادة: وهو الخوف من الله سبحانه وتعالى وحده تألُّهًا وعبادة.

٢- خوف شركي: وهو الخوف من غير الله ﷻ كالخوف من الله أو أشد، وفيه تألُّهٌ وتَعَبُّدٌ، ومنه: خوف السر، ومثاله: أن يُطلب من الرجل أن يحلف بالله على شيء فيحلف وهو كاذب بلا مبالاة، فإذا قيل له: احلف بالولي خاف وارتعد ونكص.

٣- خوف معصية: وهو الخوف الذي يحمل صاحبه على ارتكاب محرم، أو ترك واجب، ولم يصل حد الإكراه.

٤- خوف طبيعي: وهو الخوف الذي يكون بأسباب متحققة كالخوف من عدوٍّ أو سبع.

انظر: فتح المجيد (ص٤٨٩).

قوله: (قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) أول الآية: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ومعنى الآية: أن الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه من جنٍّ أو إنس، بأن يعظمَهم في صدوركم، ويوهمَكم أنهم ذووا بأسٍ، فإني أنهاكم أن تخافوا أولياء الشيطان، وخافون في مخالفة أمري، ومن عذابي ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بأني كافيكم وناصركم.

فجعل الخوف من مخالفة أمره ﷻ، وعدم الخوف من أولياء الشيطان دليلَ الإيمان.



الرجاء

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الشرح:

قوله: (ودليل الرجاء) الرجاء عبادة قلبيه، ومعناه: الطمع في حصول الشيء.

وقيل: الاستبشار بجود الله وكرمه وفضله.

وقيل: الثقة بجود الله.

والرجاء ثلاثة أنواع:

نوعان محمودان، ونوع مذموم.

فالأول: رجاء من يعمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه.

والثاني: رجاء من أذنب ذنوبًا ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله وعفوه.

وأما الثالث -وهو المذموم-: رجاء المتمادي في الخطايا بلا عمل صالح، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. **انظر:** مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]: في هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمنٍّ وغرور، وهو دالٌّ على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغَلَّةِ بلا بذر وسقي، ونحو ذلك. اهـ.

والذي يحرك الرجاء في قلب العبد: النظر في آيات الرحمة والكرم والفضل والإحسان والجنة.

انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٦).

والرجاء إذا كان فيه تألُّه وتعبُّد فلا يكون إلا لله، فإن صُرف لغير الله فهو شرك يتفاوت بحسب ما يقوم بقلب الراجي.

مسألة: هل يُسوَّى بين الخوف والرجاء، أم يُغَلَّب أحدهما على الآخر مطلقًا أم مقيدًا؟.

الجواب: هذا فيه خمسة أقوال ثبتت عن السلف:

١- استواء الخوف والرجاء في قلب العبد كاستواء جناحي الطائر، فإن غَلَّبَ الخوفَ على الرجاء قد ييأس، وإن غَلَّبَ الرجاءَ على الخوف قد يأمن مكر الله، وهذا قول الحسن ومطرف، والإمام أحمد، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام كما في الاختيارات.

٢- يغلب الخوف مطلقًا.

٣- يغلب الرجاء مطلقًا.

٤- يغلب الخوف عند إرادة المعصية، ويغلب الرجاء عند إرادة الطاعة، قال العلامة العثيمين: وهذا وجيه.

٥- يُغلب الخوف في حال الصحة والعافية، ويغلب الرجاء في حال المرض، وعند الاحتضار.

وذكر **العلامة ابن القيم** في المدراج (١/ ٥١٧) أنه الذي استحبه السلف، وهو اختيار ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ**﴾ [الزمر:٩].

وفي مدارج السالكين (١/ ٥١٧): الرجاء حادٍ، والخوف سائقٌ.اهـ.

التوكل

قال المصنف رحمه الله:

ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

الشـرح:

قوله: (**ودليل التوكل**) التوكل هو: الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله والأخذ بالأسباب المأذونة شرعًا وقدرًا. **وهو عبادة قلبية**.

والتوكل ثلاث مراتب: **الاعتماد على الله، ثم التسليم لعلمه، ثم التفويض لحكمه**.

انظر: المدارج (٢/ ١١٧).

والتوكل على قسمين:

١- التوكل على الله في الأمور الدينية من طلب علم، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، والدعوة إلى الله وغير ذلك.

٢- التوكل على الله في الأمور الدنيوية، من طلب رزق، وجلب منفعة، ودفع مضرة.

وهناك قسم ثالث -وهو قبيح-: **من يتوكل على الله في فعل المعاصي**.

انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦)، وطريق الهجرتين (ص٣٩٥)، والمدارج (٢/ ١١٣).

فالقسم الأول هو أعظم التوكل، فمن عمل به كفاه الله القسم الثاني، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وهذا توكل الأنبياء عليهم السلام، والصالحين وغيرهم.

وأما التوكل على الله في تحصيل الآثام، وفعل المحرمات فوبال على صاحبه ونكال.

فإن قيل: ما حكم الاعتماد على السبب، أو محو السبب ورده؟.

قال بعض أهل العلم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

والتوكل معنىً يتألف من معنى التوحيد والعقل والشرع.

انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٦٩)، ومدارج السالكين (٣/ ٤٩٩).

أقسام التوكل على غير الله:

١- إذا كان فيما لا يقدر عليه إلا الله فصرفه لغير الله شرك أكبر، كمن يتوكل على ميت -سواء كان نبيًا أو وليًا- في جلب المنافع ودفع المضار.

٢- إذا كان فيما يقدر عليه المخلوق فهو شرك أصغر من حيث قوة اعتماد القلب عليه، أما إذا اعتمد عليه لكونه سببًا، وأن الله هو الذي قدره فلا بأس به.

فمن يتقوى اعتماده على من يعطيه مرتبه ومعاشه، أو على المرتب نفسه فهو شرك أصغر.

أما من اعتمد على الله وجعل هذا سببًا في جلب معاشه وراتبه فجائز.

٣- التوكيل في أمور الدنيا، وهذا جائز بالإجماع، لكن بشرط أن يقول: وَكَّلْتُك، لا توكلت عليك؛ فإن هذا شرك، **انظر**: قرة العيون (ص:٤٥٤).

ولا يجوز أن يقول: توكلت على الله ثم عليك؛ لأن المخلوق لا يُعتمد عليه أصلًا، وإنما هو سبب فقط، قد يتحصل به المطلوب وقد يتخلف.

والذي يقتضي التوكل في قلب العبد ويزيده هو: يقينه بأن لا ضرر ولا نفع، ولا عز ولا رفع، ولا خفض ولا وضع، إلا بإذن الله. **انظر**: مجموع الفتاوى (١/ ٢٧).

قوله: (قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**) هذه الآية فيها دليل على أن التوكل على الله شرط في صحة الإيمان، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، فيكون معناه: لا تتوكلوا إلا على الله.

قوله: (وقوله: **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾**) أي: من توكل على الله فهو كافيه من كل ضر أو شر.



الرغبة والرهبة والخشوع والخشية

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠] الآية.

الشرح:

قوله: (ودليل الرغبة) الرغبة هي: شدة الرجاء، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح:٨].

قوله: (والرهبة) هي شدة الخوف، قال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

وتقديم المعمول على العامل -في الآيتين- يفيد الحصر، فيكون المعنى: لا رغبة إلا إلى الله، ولا رهبة إلا من الله.

قوله: (والخشوع) هو التذلل والانكسار بين يدي الله تعالى، وطمأنينة القلب لله تعالى.

والخشوع يقع في القلب: بمطالعة العبد أن الله مطلع ورقيب عليه، ويعلم سره وعلانيته.

ويكون أيضًا بالنظر في قدرة الله وعظمته وكمال صفاته.

ويكون أيضًا بمطالعة غضب الله وانتقامه من العصاة الكافرين.

وأما الذي يُظهر الخشوعَ وقلبُه خالٍ من الخشوع فهو نفاق على نفاق، وقد كان السلف يتعوذون من خشوع النفاق، حتى قال بعضهم: من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

قوله: (قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾) فيه فضل الرغبة والرهبة والخشوع إذ هو وصف صفوة خلقه وهم الأنبياء عليهم السلام.

قوله: (ودليل الخشية) الخشية بمعنى الخوف لكنها أخص منه -كما تقدم- فالخشية تكون في العالِم دون غيره، والخشية يتبعها محبة وتعظيم بخلاف الخوف.

قوله: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...﴾) فيه دليل على أن الخشية عبادة من العبادات، فلا يجوز صرفها لغير الله، وصرفها لغير الله شرك.



الإنابة

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤] الآية.

الشـــرح: ـــ

قوله: (**ودليل الإنابة**) الإنابة هي: الرجوع إلى الله عن معصيته، والإقبال على طاعته.

وحقيقتها: عكوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه. **انظر:** الفوائد (ص:١٣).

قوله: (**قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾**) الإنابة على قسمين: عامة وخاصة، أو كونية وشرعية.

فالإنابة العامة الكونية: يشترك فيها الكافر والمسلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨].

وأما الإنابة الخاصة الشرعية: فهي رجوع المسلم إلى ربه سبحانه بترك معصيته، وفعل طاعته، ودليلها الآية التي ذكرها المؤلف.

وهكذا الإسلام إلى الله على قسمين: كوني وشرعي.

فالكوني: هو الاستسلام لله في حكمه الكوني، وهذا واقعٌ من المسلم والكافر لا يستطيع أحد دفعه، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

وأما الشرعي: فهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية، وهو المراد من الآية التي ذكرها المؤلف.



الاستعانة

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] .

وَفِي الحَدِيثِ: « وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» .

الشـرح: ـــــــــــــــ

قوله: (ودليل الاستعانة) الاستعانة هي: طلب العون في جلب المنافع ودفع المضار.

أقسام الاستعانة أربعة :

١- الاستعانة بالله، وهذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل .

٢- الاستعانة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا لا يجوز؛ لأنه شرك بالله.

وله ثلاث صور:

أ) الاستعانة بميت، سواء كان نبيًا مرسلًا، أو وليًا صالحًا.

ب) الاستعانة بحي حاضر غير قادر في الظاهر؛ لاعتقاده فيه بأن له قوى خفية، أما إذا كان يظن أنه قادر فظهر له أنه غير قادر فلا حرج.

ج) الاستعانة بحي قادر لكنه غائب؛ لاعتقاده فيه أن له قوى خفية في تدبير الكون، ويعلم السر.

٣- الاستعانة بمخلوق فيما يقدر عليه، وهي على نوعين:

أ) ما كان في واجب فيجب، أو مستحب فمستحب، أو مباح فجائز.

ب) ما كان في أمر ممنوع محرم فلا يجوز، كطلب الإعانة على الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمر.

ودليل هذين النوعين: قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

٤- الاستعانة بالأعمال الصالحة، والأحوال المحبوبة إلى الله سبحانه، وهذا مشروع أمر الله به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:٤٥].

قوله: (قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]) هذه الآية فيها تقديم ما حقه التأخير، فأفاد حصر الاستعانة بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده لا شريك له.

والاستعانة عبادة؛ لأنه مأمور بها ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ [الأعراف:١٢٨]، ولقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (٢٦٦٤): «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**».

فإن قيل: إذا كانت الاستعانة عبادة، فلماذا عطف بينهما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]؟.

قلنا: هو من باب عطف الخاص على العام، ومن فوائده: امتيازه على غيره، وذلك: أن العبادة غاية، والاستعانة وسيلة، والعبد محتاج في تحقيق هذه الغاية إلى من يعينه عليها، ولا معين له إلا الله، وفي ذلك فوائد أخرى ذكرها العلامة ابن القيم في المدراج (١/ ٧٥-٧٧).

وذكر الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم عند حديث (١٩): أن الاستعانة تكون بالله عز وجل دون غيره من الخلق.

ثم علل ذلك: بأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: لا حول ولا قوة إلا بالله... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل

المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها، في الدنيا، وعند الموت، وبعده من أهوال البرزخ، ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله ﷻ، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**»، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره، وَكَلَه الله إلى من استعان به فصار مخذولًا. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مدارج السالكين (١/ ٧٨): تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. اهـ.

ويؤكد هذا المعنى: ما أوصى به نبينا ﷺ معاذًا بعد أن أعلمه بأنه يحبه، فقال له: «**لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**».

قوله: (وفي الحديث: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ») هو طرف من حديث رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، والترمذي (٢٥١٦)، وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حسن بشواهده كما بيناه في تحقيق الأربعين النووية بالأسانيد.

وفي هذه الجملة من الحديث: الرد البيِّن على دعاة القبورية، الذين يستمدون العون في حلِّهم وترحالهم، وسائر شؤونهم من الأموات، فهذا رسول الله ﷺ في حياته يُلَقِّنُ ابنَ عمِّه عبدَالله بنَ عباس رضي الله عنهما هذه العقيدة الصحيحة، بألا يستعين في سائر أموره الدينية والدنيوية إلا بالله.

أقسام الناس في الاستعانة:

١- عابد ومستعين: وهو القائم بعبادة الله، مستعينًا بالله في القيام بها، وهؤلاء الذين حققوا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فهم في أعلى الدرجات.

٢- عابد غير مستعين: وهو القائم بعبادة الله، الغافل عن مقام الاستعانة، كحال كثير من المتفقهة، وهو تقصير في تحقيق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فهم وإن وجدوا لذة العبادة، فقد فقدوا لذتها مع الاستعانة والتوكل.

٣- مستعين غير عابد: وهو المفرِّط في عبادة الله، حيث انشغل ببدع ومعاصٍ ظنها عبادة، وطلب العون من الله عليها، وهذا شأن كثير من المتصوفة والمتعبدة.

٤- غير عابد وغير مستعين: وهو التارك لعبادة الله، المستغني عن الله، وإن استعان بالله في حظوظ دنياه وشهوته، وهو شر هؤلاء.

انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢-٣٥)، ومدارج السالكين (١/ ٧٨-٨٢).



الاستعاذة

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] (١).

الشرح: ______________________________

قوله: (ودليل الاستعاذة) الاستعاذة: هي طلب الإعاذة من مكروه.

وحقيقتها: الالتجاء والاعتصام والالتصاق بجناب الله من شر كل ذي شر.

والفرق بينها وبين اللياذ: أن العياذ لدفع المكروه، واللياذ لطلب المحبوب، قال الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

انظر: أول تفسير ابن كثير في الكلام على الاستعاذة.

أقسام الاستعاذة أربعة:

١- الاستعاذة بالله، وهذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل.

٢- الاستعاذة بصفة من صفات الله، وهذا مشروع.

٣- الاستعاذة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا لا يجوز؛ لأنه شرك بالله.

وله ثلاث صور:

---

(١) الذي في المخطوط: [﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة]، ولم يذكر آية الفلق.

أ) الاستعاذة بميت، سواء كان نبيًّا مرسلًا، أو وليًّا صالحًا.

ب) الاستعاذة بحي حاضر غير قادر في الظاهر؛ لاعتقاده فيه بأن له قوى خفية.

أما إذا كان يظن أنه قادر فظهر له أنه غير قادر فلا حرج.

ج) الاستعاذة بحي قادر لكنه غائب؛ لاعتقاده فيه أن له قوى خفية في تدبير الكون، ويعلم السر.

٤- الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه، وهي على نوعين:

أ) ما كان في واجب فيجب، أو مستحب فمستحب، أو مباح فجائز؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري (٣٦٠١) ومسلم (٢٨٨٦) عن النبي ﷺ في شأن الفتن قال: «**من وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به**».

ب) ما كان في أمر ممنوع محرم فلا يجوز؛ لحديث جابر رضي الله عنه في مسلم: أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأُتي بها النبي ﷺ، فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها**»، فقطعت.



الاستغاثة

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

الشرح: ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قوله: (**ودليل الاستغاثة**) الاستغاثة هي: طلب الغوث، وهي دعاء، إلا أن الاستغاثة أخص، والدعاء أعم، فالدعاء يكون في الرخاء والشدة، والاستغاثة تكون في الشدة.

أقسام الاستغاثة ثلاثة:

١- الاستغاثة بالله، وهذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل.

٢- الاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا لا يجوز؛ لأنه شرك بالله.

وله ثلاث صور:

أ) الاستغاثة بميت، سواء كان نبيًا مرسلًا، أو وليًا صالحًا.

ب) الاستغاثة بحي حاضر غير قادر في الظاهر؛ لاعتقاده فيه بأن له قوى خفية.

أما إذا كان يظن أنه قادر فظهر له أنه غير قادر فلا حرج.

ج) الاستغاثة بحي قادر لكنه غائب؛ لاعتقاده فيه أن له قوى خفية في تدبير الكون، وأنه يعلم السر.

٣- الاستغاثة بالحي القادر الحاضر وهذا جائز، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

وأكثر ما **أوقع الناس في الاستغاثات الشركية**: الجهل بدعوة الرسل، والأحاديث والآثار والحكايات المكذوبة الموضوعة والضعيفة، مثل: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور**»، ومثل: «**من اعتقد في حجر نفعه**».

وهكذا ما وقع في بعض الحكايات: أن فلانًا استغاث بفلان فجاءه وأغاثه، وهو لم يأته أصلًا، وإنما أتاه الشيطان في صورته؛ لقصد إغوائه، إذ هم يعينون الناس على الشرك.

انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٠٦) و(١١/ ٤٣٧).

فإن قيل: هل هناك فرق بين الاستغاثة والتوسل؟.

قلنا: نعم؛ وذلك: أن الاستغاثة مطلوب منه، والوسيلة مطلوب به.



الذبح

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

الشرح:

قوله: (ودليل الذبح) الذبح عرفه الفقهاء: إزهاق الروح، بإراقة الدم على وجه مخصوص.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢]) هذه الآية فيها بيان أن الذبح من أجل العبادات وأعظمها، وأن صرفها لله تعالى واجب، ولغيره شرك، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

فقرن الله بين هاتين العبادتين -الصلاة والذبح- في هاتين الآيتين؛ لأن الصلاة أعظم العبادت البدنية، والذبح أعظم العبادات المالية. **انظر:** مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣٢).

والذبح عبادة من جهتين: من جهة البسملة وهي استعانة، ومن جهة التقرب وهي عبادة.

فمن سمى الله على الذبيحة وأراد بها التقرب لغير الله فهذا شرك من جهة التقرب.

ومن سمى غير الله على الذبيحة، وأراد بها التقرب إلى الله كانت حرامًا من جهة التسمية، والفعل الأول أعظم. **انظر:** اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٥٥و٢٥٩).

والذبح على أقسام:

١- ذبح يُقصد به التقرب لله، والتذلل له، وهو عبادة من أجلِّ العبادات المالية.

٢- ذبح يُقصد به التقرب والتذلل لغير الله، سواء من الأموات أو الأحياء، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

٣- ذبح يُقصد به التقرب إلى الله لكن في أوقات، أو أماكن، أو أحوال، لم يستحبها الشرع، وهذا لا يجوز؛ لأنه من البدع في دين الله ﷻ، كالذبح عند القبر لقصد البركة، أو في مواسم عُلمت أنها من مواسم المبتدعة، أو للاستسقاء.

انظر: مجموع فتاوى الإمام ابن باز رحمه الله (٨/ ٣٢٢)، والمنتقى من فتاوى العلامة الفوزان (١/ ٢٠٥و٢٥٠).

٤- ذبح يُقصد منه الأكل أو البيع، وهذا جائز بشرط أن يسمي اللهَ ﷻ.

وليعلم: أن الذبائح التي تكون تقربًا لله أزكى مما ذُبح لأجل اللحم والأكل؛ لأن الأول عبادة وطاعة وقربة، **انظر:** اقتضاء الصراط المستقيم (ص:٢٥٩).

والذبائح أنواع:

منها: الهدي، والفدية، والعقيقة، والأضحية، ووليمة العرس، وللضيف، وللأكل، وللبيع.

وبعضها قد يكون مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب، وبعضها قد يكون منهيًا عنه لأمر آخر كالإسراف والتبذير.

قوله: (ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله») رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي رضي الله عنه.

هذا الحديث فيه: أن من ذبح لغير الله ملعون، واللعن هو: الطرد والإبعاد من رحمة الله.



النذر

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

الشـرح: ـــــــــــــــــــــــــــــــ

قوله: (ودليل النذر) النذر عبادة قولية إنشاءً، وفعلية انتهاءً.

والنذر هو: إلزام المكلف نفسه بشيء لم يكلفه به الشرع.

والنذر عبادة بدليل أمر الله بها: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج:٢٩]؛ ولأنه امتدح الموفين به، قال سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧].

فإذا كانت عبادة فلا يجوز صرفها لغير الله، وصرفها لغيره عز وجل شرك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦].

والنذر على أنواع كما سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

قوله: (﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الإنسان:٧]) تقدم أن في هذه الآية أن النذر عبادة؛ لأن الله امتدح الموفين به.

حكم النذر: النذر نذران مطلق ومقيد.

فالمطلق مثل: لله عليَّ أن أصوم يوم كذا، أو أن أتصدق بكذا، ونحوه.

والمقيد مثل: لله عليَّ إن شفى مريضي أن أصوم ثلاثة أيام، ويُسمى بنذر المعاوضة.

وذهب الجمهور إلى أنه مكروه؛ لأحاديث النهي في ذلك، ومنه: حديث ابن عمر رضي الله عنهما: نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج من البخيل**» رواه البخاري (٦٦٠٨) ومسلم (١٦٣٩).

ولمسلم (١٦٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه، وفي رواية أنه قال: «**لا تنذروا**».

وقال بعضهم: النذر المطلق مستحب؛ لأنه عبادة محضة لا معاوضة فيها، وأن أحاديث النهي محمولة على النذر المقيد؛ لأن فيه المعاوضة وهو شأن البخلاء.

وبعضهم يقول: بالتحريم، وهو قول شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٩/ ١٦١).

والنذر على أنواع:

١- نذر طاعة ويجب الوفاء به؛ لحديث عائشة رضي الله عنها في البخاري (٦٦٩٦): أن النبي ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصه فلا يعصه**»، فإن لم يستطع فيجب أن يكفر كفارة يمين؛ لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه في مسلم (١٦٤٥): أن النبي ﷺ قال: «**كفارة النذر كفارة يمين**».

٢- نذر معصية ولا يجوز الوفاء به بدون خلاف؛ لحديث عائشة المتقدم.

وأعظمه: النذر الشركي، وهذا لا كفارة فيه؛ لأنه باطل من أصله، وإنما يجب التوبة منه.

انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٥٠٤).

وأما نذر المعصية ما دون الشرك فقد اختلف في وجوب الكفارة فيه؟ فمذهب الجمهور: الاستحباب، ومذهب أحمد وإسحاق وهو اختيار الألباني: الوجوب، واستدلوا بأحاديث أصحها: حديث عقبة رضي الله عنه المتقدم: «**كفارة النذر كفارة يمين**».

الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام

قال المصنف رحمه الله:

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.(١)

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

الشـرح:

قوله: (الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة) بعد أن فرغ المصنف من الأصل الأول وهو معرفة الله، شرع في بيان الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة لا التقليد.

والإسلام لغة: الاستسلام والانقياد والخضوع، **انظر:** تفسير الطبري (٢/ ٤٣٢)، وتفسير القرطبي (٢ / ١٣٢)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٥).

وشرعًا ما عرفه المؤلف بقوله: **(وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله)** وهذا تعريف الإسلام بالمعنى العام الذي دعت إليه الرسل كلهم وهو إخلاص الدين لله.

وأما تعريفه بالمعنى الخاص فهو ما جاء به محمد ﷺ من شرائع وأحكام.

---

(١) الذي في المخطوط: [والخلوص من الشرك] .

قوله: (الاستسلام لله بالتوحيد) أي: تستسلم لله بتوحيده في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وهذا الإسلام الشرعي الذي يكون باختيار العبد، وأما الإسلام الكوني فلا اختيار له فيه كما تقدم بيانه في باب الإنابة.

قوله: (والانقياد له بالطاعة) أي: بالإتيان بالمأمور، وترك المحظور.

قوله: (والبراءة من الشرك وأهله) بالتخلص من الشرك -اعتقادًا وقولًا وفعلًا-، مع التبرؤ منه ومن أهله، وهو سبيل المرسلين، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

قوله: (وهو ثلاث مراتب) أي: الدين ثلاث مراتب ودرجات ومنازل؛ لقول النبي ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وسيأتي، ثم ذكرها جملة فقال: (الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان)، هذا على التغليب، وإلا فالإحسان ركن واحد.



المرتبة الأولى: الإسلام وأركانه

قال المصنف رحمه الله:

المرتبة الأولى: الإسلام، فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ(١): شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

الشـرح: ــ

قوله: (المرتبة الأولى الإسلام) أي: من مراتب الدين.

قوله: (فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وبعد أن ذكر المصنف رحمه الله مراتب الدين مجملة، وأن لها أركانًا فصلها وبينها.

فهذا هو الركن الأول من أركان الإسلام، وهو أعظمها وأهمها وأجلها؛ لأن باقي الأركان لا تقوم إلا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١/ ٨٠): وأمور الدين مبنية على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع، وهو قائم على أصلين: أن لا يُعبد إلا الله، وأن لا يُعبد إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ، لا نعبده بالأهواء والبدع، قال الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ**

---

(١) الذي في المخطوط: [والدليل من السنة: حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام]، ومن سياق الكلام يظهر أن ذكر الحديث هنا مقحم؛ لأنه بعد ذكر الأركان ذكر الأدلة مفصلة، فقال: [فدليل الشهادة] الخ.

ﭐلْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية:١٨] الْآيَةَ، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]. اهـ.

ولا تكون الشهادة صحيحة إلا بالإخبار بها عن علم مع اعتقاد صحتها وثبوتها.

قوله: (**وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**) هذه الأركان الأربعة هي دعائم الإسلام، ومكملات التوحيد، ولا يكون لها أثر إلا بالتوحيد.

دليل شهادة أن لا إله إلا الله

قال المصنف رحمه الله:

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ.

(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله.

(إلا الله) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

الشرح:

قوله: (فدليل الشهادة) أي: شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله: (قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]) **الشهادة هي**: العلم والبيان والإخبار، يقال: شهد فلان أي أعلم وبيَّن وأخبر.

وفي الآية: العلم والبيان والإخبار بشهادة الله والملائكة وأولي العلم على أنه لا إله إلا الله، وقرن شهادة الملائكة وأولي العلم بشهادته؛ لأنهم أرشدُ الخلق، وأعلمُهم بالحق، ويشهدون على علم، فقبلت شهادتُهم.

والآية فيها بيان فضل أهل العلم الشرعي لا غيره.

وليعلم: أن من أخبر بشيء لا يعتقد صحته ولا ثبوته فشهادته باطلة لا تنعقد، ومن هذا شهادة المنافقين قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

ومن استيقنها ولم يعمل بها لا تنفعه، قال الله تعالى في شأن فرعون ومن تبعه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

قوله: (ومعناها: **لا معبود بحق إلا الله**) هذا هو المعنى الصحيح الذي لم يعرفه كثير ممن يدعي الإسلام من حذاق الصوفية والمتكلمين، وعرفه جهال الكفار.

وأهل الحلول يقولون: لا معبود إلا الله، ولم يأتوا (بحق) حتى يوافق معتقدهم الفاسد أن كل ما يُعبد هو الله، فلذا كان متحتمًا تقدير (بحق) لتُخرج المعبودات التي تعبد بباطل، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، فتبيَّن صحة ما قاله المؤلف.

قوله: (**لا إله: نافيًا جميع ما يعبد من دون الله. إلا الله: مثبتًا العبادة لله**) هذان هما ركنا الشهادة التي لا تصح الشهادة إلا بهما.

والنفي والإثبات هنا تضمنا معنى الأمر والنهي، فكأنه قال: لا تعبد إلا الله. وإذا قال شخص لآخر: هذا المفتي لا هذا، فكأنه قال: سَلْ هذا ولا تَسَلْ هذا.

انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٧١).

قوله: (**وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه**) وهذا من باب الإلزام كما أنكم تعتقدون وتقرون أنه لا شريك له في ملكه فهذا يلزمكم أن تعتقدوا وتقروا بأنه لا شريك له في عبادته، ولذا قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ** ﴾ [يونس:٣١-٣٢] أي: تمتنعون من إفرادي بالعبادة مع اعترافكم بتفردي بالخلق والملك والتدبير.

فإن قيل: هل كل من قال شهادة التوحيد نفعته، أم لا بد من شروط؟.

الجواب: لا بد من شروط، وهي ثمانية، لا بد من معرفتها، والقيام بها، ولا تنفع قائلها إلا باجتماعها، وهي مجموعة في قول الشاعر:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها

١- العلم بمعنى لا إله إلا الله، المنافي للجهل، كما قال تعالى: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ [محمد:١٩]، وقال: ﴿ **إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزخرف:٨٦].

٢- اليقين بها المنافي للشك، وذلك بأن يقولها مستيقنًا بما تدل عليه، فإن كان شاكًا بما تدلُّ عليه لم تنفعه؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥] أي: لم يشكوا.

٣- الإخلاص المنافي للشرك، وهو: تصفية الظاهر والباطن من الشرك في الأقوال والأعمال، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

٤- الصدق المنافي للكذب، وهو: أن يقول هذه الكلمة صدقًا من قلبه، قال النبي ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار**»، أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

٥- المحبة لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

٦- الانقياد لما دلت عليه، الانقياد المنافي للتمرد والامتناع، ومعناه: أن يعبد الله وحده، وينقاد لشريعته، ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:١١٢].

٧- القبول لما دلّت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، فمن قالها ولم يقبل عبادة الله وحده كان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦-٣٧].

٨- الكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

ولا يتم الكفر بالطاغوت إلا بخمسة أمور: اعتقاد بطلانها، وتركها، وبغض أهلها، ومعاداتهم، وتكفيرهم.

قوله: (**وتفسيرها: الذي يوضحها**) أي: تفسير كلمة التوحيد.

قوله: (قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤])

هذه الأدلة واضحة جلية في أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن التبرؤ من الكفر وأهله واجب، ولو كان من أقرب الناس.



دليل شهادة أن محمدًا رسول الله

قال المصنف رحمه الله:

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

الشرح:

قوله: (ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله) هذا الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام، وقد انقسم الناس في رسول الله ثلاثة أقسام:

١- الجفاء والكبر عن اتباعه والتزام طريقته، بحجج باطلة منها: أن الرسل بُعثوا لعامة الناس لا إلى الخاصة، فأنتم تأخذون دينكم ميت عن ميت، ونحن نأخذه عن الحي القيوم، فيقولون: حدثني قلبي عن ربي، وقالوا: أهل الصفة أعلى مرتبة من رتبة النبي ﷺ.

٢- الغلو في النبي ﷺ والإطراء فيه حتى أوصلوه إلى درجة الإله والرب، وقالوا: إن غاية الحج هو زيارة قبره، وإلا فأعمال الحج فيها كلفة.

٣- إنزال النبي ﷺ منزلته التي أنزله الله عليها، فلا هم الذين جفوه وأعرضوا عن اتباعه، ولا هم الذين رفعوه فوق منزلته، وإنما قالوا: هو عبد فلا يعبد، ورسول فلا يكذب، وأحبوه، وناصروه، ووقروه، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وتحاكموا إليه.

قوله: (قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]) يقول تعالى ممتنًا على المؤمنين حيث أرسل إليهم رسولًا من جنسهم وعلى لغتهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يَعِزُّ عليه الشيء الذي يشق على أمته ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على هدايتكم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: المبالغ في الرأفة والشفقة.

انظر: تفسير الطبري وابن كثير.

قوله: (**ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله**) ورد في القرآن الإخبار بأنه رسول الله في عدة مواضع، كقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، وقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ومع أنه مشرف بالرسالة فهو مشرف بأنه عبدٌ لله، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف:١]، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:١]، وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١].

وقد جمع النبي ﷺ بينهما كما في حديث عمر رضي الله عنه عند البخاري (٣٤٤٥)، عن النبي ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُالله ورسولُه**».

فهذه الأدلة دلت على أن النبي ﷺ عبدٌ لله، والعبد لا يُعْبَد؛ لأن الله سبحانه أمرنا بعبادته وحده ونهانا أن نشرك به، فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

ودلت أنه رسول الله، والرسول لا يُكَذَّب، وإنما كما قال المؤلف مفسرًا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله:

قوله: ⁽طاعته فيما أمر⁾ فقد أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه في أكثر من آية بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد:٣٣]، بل وحذر من مخالفة أمره فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

قوله: ⁽وتصديقه فيما أخبر⁾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤]؛ ولأنه صادق في خبره، كما زكاه ربه فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٥٢].

قوله: ⁽واجتناب ما نهى عنه وزجر⁾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

قوله: ⁽وألا يُعبد الله إلا بما شرع⁾ هذا هو الشرط الثالث من شروط قبول العمل، والشرط الأول: الإيمان.

والثاني: الإخلاص، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩].



دليل الصلاة والزكاة

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

الشرح: ________________

قوله: (ودليل الصلاة) أي: إقام الصلاة، والمراد بإقام الصلاة: المداومة عليها أو مطلق الإتيان بها، ولا تتم إقامتها إلا بالإتيان بشروطها وأركانها وواجباتها، ويندب له الإتيان بمستحباتها لتكون كاملة تامة.

وينبغي لكل مصلٍّ أن يتحرى صلاة رسول الله ﷺ وأن يتعلمها؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، أخرجه البخاري (٧٢٤٦) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

ولأهمية الصلاة وعظيم أمرها أولاها العلماء بالعناية والبيان والتصانيف المتنوعة -اختصارًا وبسطًا- فجزاهم الله خيرًا.

وقد أمر الله في كتابه الكريم بإقام الصلاة في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣].

ومن الأدلة على وجوبها وفرضيتها: قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]، وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١].

وأمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وجعلها سبحانه من خصال المؤمنين الذين يرثون الفردوس الأعلى فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ -إلى أن قال-: وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

وبيَّن جلَّ وعلا أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأمور، منها: الصلاة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

وهكذا التخلية للمأسورين لا تكون إلا بأمور، منها: الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

والصلاة تدعو صاحبها إلى الخير، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر والشر، قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

والصلاة كما تقدم من الفرائض العظيمة، والواجبات الأكيدة، التي من جحد فرضيتها، وأنكر وجوبها كفر بالإجماع، بل من أنكر فريضة واحدة كفر؛ لأنه مكذب لأمر الله وأمر رسوله ﷺ. **انظر**: مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٣٤).

وإنما اختلف العلماء فيمن تركها تكاسلًا مؤمنًا بوجوبها، والصحيح ما ذهب إليه جمهور أهل الحديث من أنه كافر؛ لعموم الأدلة الصريحة المحكمة، والله أعلم.

وتارك الصلاة يُعد من المجرمين بدليل قوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٣٨-٤٣] الآيات.

والصلاة المفروضة تجب على كل مسلم عاقل بالغ من الرجال والنساء، إلا المرأة في الحيض.

وتأديتها جماعة في المسجد مع المصلين ما دام يسمع النداء واجب على الرجال إلا من عذر؛ لقوله الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، وقال: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وأمر الصلاة عظيم جدًّا، لا يسعه هذا المقام؛ لأن مقصودنا الإشارة لأهميتها، وبيان مكانتها في الإسلام.

قوله: (والزكاة) أي إيتاء الزكاة، والمراد به إخراج جزء من المال على وجه مخصوص، قاله الحافظ في الفتح رقم (٨).

وقد أمر الله بإيتاء الزكاة وقرنها بالصلاة في كثير من الآيات، كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٠].

وإيتاء الزكاة من خصال المؤمنين الذين يرثون الفردوس الأعلى، قال عز من قائل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ -إلى قوله- أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

وإيتاء الزكاة صفة من صفات المتقين، قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٥-١٩].

وعدم تأدية الزكاة صفة من صفات المشركين، قال سبحانه: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت:٦-٧].

والزكاة تخرج من تسعة أصناف على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهي: الذهب، والفضة، والبر، والشعير، والتمر، والزبيب، وسائمة الإبل، والبقر، والغنم.

والذي لا يؤدي الزكاة متوعد بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

وفي البخاري (١٤٠٢) ومسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «تَأْتِي الإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا. وَتَأْتِي الْغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا. وَقَالَ: وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى الْمَاءِ، قَالَ: وَلا يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ، وَلا يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ»، وفي الباب أحاديث كثيرة في هذا المعنى.

ومانع الزكاة جاحدًا لفرضيتها كافر بالإجماع، وللحاكم قتاله وسبي نسائه، ودليل هذا ما أخرجه البخاري (١٣٩٩و١٤٠٠) ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**»، فقال أبو بكر: والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. هذا لفظ مسلم.

وبوَّب البخاري في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين: (**باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة**) ثم ذكر الحديث المتقدم.

أما من امتنع عن أداء الزكاة بخلًا وشحًا مع اعترافه بوجوبها فإن للحاكم أن يأخذها منه بالقوة، ولو قاتل فله أن يقاتله في أصح قولي العلماء، ودليله حديث ابن عمر رضي الله عنهما في البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**».

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم عند شرح الحديث المذكور: وحكم من ترك سائر أركان الإسلام أن يقاتلوا عليها كما يقاتلون على ترك الصلاة والزكاة. اهـ.

قوله: (وتفسير التوحيد) أي: معنى لا إله إلا الله.

قوله: (قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:٥]) في هذه الآية الأمر بالإخلاص في العبادة، وعطف

عليها الصلاة والزكاة -مع كونهما من العبادة- إظهارًا لأمرهما، وإعظامًا لشأنهما، وأوضح أن هذا هو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه. وقد تقدم معنى العبادة.



الصيام

قال المصنف رحمه الله:

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

الشرح:

قوله: (**ودليل الصيام**) أي: صيام شهر رمضان، والصيام لغة: الإمساك.

وشرعًا: الإمساك تعبدًا لله عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، **انظر:** التمهيد لابن عبدالبر (٢/ ٣٧-٣٨).

قوله: (**قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [البقرة:١٨٣]) فيه أن صيام رمضان واجب حتمي، وأن الحكمة من فرضيته تحصيل التقوى.

وهو واجب على كل مسلم عاقل بالغ سالم من الموانع والأعذار.

فقولنا: مسلم يُخرج الكافر.

وقولنا: عاقل يُخرج المجنون.

وقولنا: بالغ يُخرج الصغير الذي لم يبلغ.

وقولنا: سالم من الموانع يُخرج الحائض والنفساء.

وقولنا: سالم من الأعذار أي الشرعية وهو يُخرج المسافر والمريض والحامل والمرضع.

وصيام رمضان إيمانًا بفرضيته واحتسابًا للأجر فيه سبب لمغفرة الذنوب، ففي البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

وصيام رمضان المأمور به لا يتم إلا بشروطه وأركانه وواجباته التي دل عليها الكتاب والسنة، ولا يحصل له الكمال إلا بمستحباته.



الحج

قال المصنف رحمه الله:

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

الشرح:

قوله: (ودليل الحج) أي: حج بيت الله الحرام. **ومعناه لغة:** القصد.

وشرعًا: قصد البيت الحرام تعبدًا لأداء مناسك معلومة. **انظر:** إجابة السائل (ص١٢٧).

قوله: (قوله تعالى: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران:٩٧]) فيه وجوب حج بيت الله الحرام.

وفي مسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم**» الحديث.

والحج يجب على كل مسلم عاقل بالغ مستطيع، والمرأة بشرط المحرم.

ويجب على المسلم المبادرة والمسارعة لأداء الحج ما دام مستطيعًا، قبل أن يمنعه مانع، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

وأداء فريضة الحج بالوجه الأكمل لا يكون إلا على هدي رسول الله ﷺ، لما ثبت في مسلم (١٢٩٧) عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لتأخذوا مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**»، فأداء الحج على الوصف الأكمل إنما يحصل بمتابعة رسول الله ﷺ، وذلك بالإتيان بشروط الحج وأركانه وواجباته ومستحباته على ما ثبت عن نبينا ﷺ.

ومن حج حجًّا صحيحًا كحج رسول الله ﷺ، فليبشر بحديث رسول الله الذي في البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس جزاء إلا الجنة**».

وتارك صيام رمضان وحج بيت الله الحرام جاحدًا لوجوبه -وهكذا سائر الواجبات- كافر بالإجماع؛ لأنه رادٌّ لحكم الله ورسوله ﷺ.

انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٠٩-٦١٠).

أما تارك الصيام طمعًا، وتارك الحج بخلًا وكسلًا مع إقراره بوجوبها، فإنه عاصٍ مرتكب لكبيرة عظيمة، وللحاكم حبسه عن الطعام والشراب حتى يصوم جبرًا، وتهديده بالضرب وما أشبه ذلك من العقوبات حتى يحج، فإن كانوا مجموعة ذا قوة وشوكة فله قتالهم حتى يتوبوا إلى الله، إذ أن حكمهم كحكم من ترك الصلاة والزكاة.



المرتبة الثانية: الإيمان وأركانه

قال المصنف رحمه الله:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ: لا إله إلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ. وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ -كما في الحديث-.

الشرح: ________________

قوله: (**المرتبة الثانية: الإيمان**) أي: من مراتب الدين.

الإيمان لغة: الإقرار، **انظر:** مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٩-٢٩٣).

قوله: (**وهو: بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**) هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري (٩) ومسلم (٣٥)، وهو بهذا يشير إلى معناه في الشرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **في العقيدة الواسطية:** ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل. قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. اهـ.

والحديث الذي أورده المؤلف فيه: أن الإيمان مركب من نطق، وعمل القلب، والجوارح.

فأما النطق: فمنه قول: لا إله إلا الله.

وأما عمل القلب: فمنه الحياء.

وأما عمل الجوارح: فمنه إماطة الأذى عن الطريق.

ودلَّ الحديث أيضًا: أن الإيمان يزيد وينقص إذ فيه أعلى وأدنى.

والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا.

وهذا الباب زلت فيه الطوائف كالخوارج، والمعتزلة، والمرجئة وغيرهم، بسبب تجافيهم عن نصوص الكتاب والسنة، وبُعْدِهم عن فهم الصحابة ﷺ، وتحكيمهم للعقل، وأخْذِهم ببعض الأدلة دون بعض، واتباعهم للهوى، وهذا هو سبيل الشيطان، الموصل للضلال والطغيان، فكن منه على حذر، وسلِّم لما جاء عن السلف الصالح تجد خيرًا وهداية، ولقد أحسن القائل:

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

والحاصل: أن الإيمان لا يتم إلا بتحصيل هذه المراتب الأربع:

أولها: اعتقاد القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

ثانيها: نطق اللسان، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١]، وفي حديث عمر وأبي هريرة وابن عمر ﷺ في الصحيحين، وأنس ﷺ في البخاري، وجابر ﷺ في مسلم -والمعنى متقارب- أن النبي ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عَصَمَ مِنِّي ماله ونفسه، إلا بحقِّه، وحسابه على الله**».

ثالثها: عمل الجوارح، ودليله الآية المتقدمة، ولفظ حديث ابن عمر في الصحيحين: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة،**

ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» .

رابعها : عمل القلب، وهو إخلاصه وخشيته وإنابته، ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢] .

قوله : (**وأركانه ستة كما في الحديث**) أي: أركان الإيمان، وقد أوردها المؤلف كما في حديث جبريل الطويل، الذي رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٨) عن عمر رضي الله عنه .



الإيمان بالله

قال المصنف رحمه الله:

أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ.

الشرح: ________________

قوله: (**أن تؤمن بالله**) هذا الركن الأول من أركان الإيمان، والإيمان بالله واجب أكيد على كل عبد ذكر وأنثى، حر وعبد، غني وفقير، ولا سعادة لعبد في الدنيا والأخرى إلا بالإيمان بالله، قال جلَّ وعلا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء:١٣٦].

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور وهي:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى، وهذا ثابت بالأدلة الشرعية والكونية والعقلية والحسية.

أما الأدلة الشرعية: فقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ**﴾ [البقرة:٢٥٢]، وقوله: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢].

ومن هذه الأدلة الشرعية: الكتب التي أُنزلت على بعض رسله، كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

وأما الأدلة الكونية: كالليل والنهار والشمس والقمر، كما مضت الإشارة إليها من المؤلف في أول الكتاب، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ**﴾ [فصلت:٣٧].

وأما الأدلة العقلية: أن أهل العقول السليمة يقولون: (ما من حدث إلا وله محدث) والليل والنهار والشمس والقمر والسماوات والأرضون والنجوم والجبال لهي من أعظم الأمور المحدثة التي تدل على وجود الله سبحانه وتعالى، ولا يقول عاقل: بأنها خُلقت صدفة.

وأما الأدلة الحسية: فمنها قبول دعاء الداعي، وهذا كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه الطويل، وفيه: أن رجلًا استقبل رسول الله ﷺ وهو يخطب الجمعة فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع يديه وقال ثلاثًا: «**اللهم أغثنا**» فمطرنا، أخرجه البخاري (٩٣٣) ومسلم (٨٩٧).

ومن الأدلة الحسية: المعجزات المظهرة لنبوة الأنبياء عليهم السلام.

الثاني: الإيمان بربوبية الله، وهو توحيد الله في أفعاله، وهذا القسم أقرَّ به مشركو العرب، كما قال الله عنهم: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾ [العنكبوت:٦١]، فهذه الآية وغيرها كثير تدل على أن المشركين أقروا بأن الله هو: الخالق الرازق الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما، فإيمانهم بهذا لم يُدخلهم الإسلام، وهذا خلاف ما يقوله المرجئة وعباد القبور.

والسبب الذي لم يدخلهم في الإسلام مع إيمانهم بتوحيد الربوبية: وقوعهم في الشرك حيث جعلوا لله ندًا في العبادة، والله يقول: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٢]، وقال: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [النساء:٣٦].

الثالث: الإيمان بألوهية الله، وهو إفراد الله في عبادته. وهو الذي أنكره وجحده المشركون ومن سلك مسلكهم من دعاة القبورية، حيث قالوا: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ**

عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، بل وتواصوا عليه كما قال تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦].

ومن الأسباب التي منعت المشركين من عبادة الله: تقليدهم لآبائهم كما في قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾، وفي الآية التي تليها: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢-٢٣].

ولا يزال من الناس ممن ينتسب إلى الإسلام يقول بقولهم، ويدعو لمنهجهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله- .

والإيمان بألوهية الله هو معنى: أشهد أن لا إله إلا الله، ولذلك لم يأتِ بها المشركون لمعرفتهم وعلمهم أن هذا يخالف ما هم عليه.

الرابع: الإيمان بأسماء الله وصفاته، وهو: ألا نسمي ربنا إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل.

وهذا القسم لا يُثبت إلا بالكتاب والسنة، فليس لأحد اجتهاد، أو رأي فيه؛ لأنه توقيفي، **وقد قال الإمام أحمد** رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يُتجاوز القرآن والحديث. اهـ من مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦).

ونحن إذ نقول بأنه توقيفي؛ لأننا لا نعرف ربنا إلا من كتابه وسنة نبيه ﷺ، فكذلك لا نثبت له اسمًا أو صفة إلا من كتابه وسنة نبيه ﷺ، إذ هو أمر غيبي لا يدركه الإنسان بالعقل.

وإثبات أسماء الله وصفاته له شروط:

الأول: أن يكون الإثبات بلا تمثيل؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

والتمثيل: هو تمثيل صفات الله بصفات خلقه، أو العكس، وهذا لا يجوز، والله يقول ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، ويقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

الثاني: أن يكون الإثبات بلا تكييف.

والتكييف: هو جعل صفات الله على صفات معينة، أو في الخيال، أو السؤال عنها بكيف. وهو أعم من التمثيل.

الثالث: أن يكون الإثبات بلا تعطيل ولا تحريف.

والتعطيل هو: نفي صفات الله أو تحريفها لفظًا أو معنى.

وهذا لا يجوز؛ لأنه مخالف لظاهر الأدلة الصحيحة الواضحة من الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وممن قال بالتعطيل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، بين مقل ومستكثر.

ومذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فهم وسط بين الممثلة المجسمة، وبين المعطلة المحرفة، فأثبتوا لله ما أثبت لنفسه بلا غلو، ونزهوا الله عما تنزه عنه بلا غلو، فكان قولهم إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].



الإيمان بالملائكة

قال المصنف رحمه الله:

وَمَلائِكَتِهِ.

الشرح: ________________

قوله: (ملائكته) جمع ملَك، والإيمان بالملائكة على قسمين: مجمل ومفصل.

أما المجمل: فهو الإيمان بجميع الملائكة الذين سماهم الله ورسوله ﷺ، أم لم يُسموا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨]، وقال: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

أما الإيمان المفصل: فهو الإيمان بمن سماهم الله ورسوله ﷺ، كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ومنكر ونكير.

فجبريل وميكائيل جاء ذكرهم في القرآن كما في الآية المتقدمة.

وأما مالك فقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

وأما منكر ونكير ففي الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «**إذا قُبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير**».

ومما يتضمنه الإيمان بالملائكة:

١- الإيمان بأن لهم ذواتًا وأجسامًا، لا أنهم أرواح نورانية كما يقول أهل البدع، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

٢- الإيمان بأن عددهم ليس بمحصور، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١].

٣- الإيمان بهم جميعًا؛ لأن من آمن ببعض وكفر ببعض ولو كان واحدًا فقد كفر، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨].

٤- الإيمان بأن لهم أعمالًا مختلفة وكثيرة، فجبريل مثلًا موكل بالوحي، وميكائيل بالقطر، وإسرافيل بالنفخ في الصور، ومالك بخزانة النار، ومنكر ونكير بسؤال القبر.

٥- الإيمان بأنهم خُلقوا من نور، كما في حديث عائشة رضي الله عنها في مسلم (٢٩٩٦) أن النبي ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور**».

٦- الإيمان بأنهم طائعون لله ولا يعصون أمره، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].



الإيمان بالكتب

قال المصنف رحمه الله:

وَكُتُبِهِ.

الشـرح:

قوله: (وكتبه) جمع كتاب، والإيمان بالكتب على قسمين: مجمل ومفصل.

أما المجمل: فهو الإيمان بجميع الكتب التي سُميت أو لم تُسمَّ.

قال تعالى: ﴿**كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ**﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء:١٣٦].

أما الإيمان المفصل: فهو الإيمان بما سمى الله منها، كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى.

والإيمان بالكتب يتضمن أمورًا:

١- الإيمان بأن أفضلها هو القرآن؛ لأنه ناسخ لجميع الكتب والأديان، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة:٤٨]؛ ولأن الله تكفل بحفظه، قال سبحانه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾ [الحجر:٩]، وأما غيره من الكتب فلم يَسْلَم من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿**مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ**﴾ [النساء:٤٦]، وقال: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٧٥].

٢- الإيمان بأن ما فيها هو كلام الله غير مخلوق، تكلم به سبحانه بصوت وحرف، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، وفي البخاري (٧٤٤٣) ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم ﵁، عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان»، والأدلة في إثبات صفة الكلام على نحو ما أوضحنا كثيرة.

وهذه الأدلة فيها رد على المعطلة ومن جرى مجراهم في تعطيل الصفات، وفيها رد على الممثلة المشبهة الذين مثلوا صفات الخالق بصفات المخلوق، أو العكس.

٣- الإيمان بأن الله بيَّن فيها مصالح العباد في الدنيا والآخرة، وأدلتها كثيرة يعرفها المتدبر لكلام الله تعالى.

٤- الإيمان بها جميعًا؛ لأن من آمن ببعض وكفر ببعض ولو كان واحدًا كفر، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٥-٨٦].



الإيمان بالرسل

قال المصنف رحمه الله:

وَرُسُلِهِ.

الشرح:

قوله: (ورسله) جمع رسول، والإيمان بالرسل على قسمين: مجمل ومفصل.

أما المجمل: فهو الإيمان بجميع الرسل الذين سماهم الله وقصهم علينا، أو الذين لم يسمهم، ولم يقصهم علينا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨]، وقال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

والدليل على أن الله لم يقصص علينا جميع الرسل، قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤].

وأما الإيمان المفصل: فهو الإيمان بمن سمى الله وقصهم علينا كنوح وإبراهيم وموسى ... عليهم السلام، وأدلة ذلك مبسوطة في الكتاب والسنة.

والإيمان بالرسل يتضمن أمورًا:

١- الإيمان بأنهم بلغوا البلاغ التام، فما من خير إلا ودلونا عليه، وما من شر إلا وحذرونا منه، كما جاء في مسلم (١٨٤٤) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**».

٢- الإيمان بهم جميعًا؛ لأن من آمن ببعض وكفر ببعض ولو كان واحدًا كفر بجميعهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١]، فالله جعل قوم نوح وعاد وثمود مكذبين للرسل مع أنهم لم يكذبوا إلا رسولهم.

انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٣) ومجموع الفتاوى (١٠/ ٧٢٥).

٣- الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر دون الصغائر، ومعصومون مما يطعن في نبوتهم، وهو قول أكثر علماء الإسلام. **انظر:** مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩-٣٢١).

٤- الإيمان بأن الرسل والأنبياء من الرجال ليس فيهم امرأة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وهذا خلافًا لقول ابن حزم: أن مريم وآسية وأم موسى نبيات، وهو قول شاذ.

انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦).

٥- أنهم من الإنس، فليس في الجن نبي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٠]، فلو كان فيهم أنبياء لذكروهم ولما احتاجوا لذكر موسى عليه السلام.

٦- أن أفضلهم نبينا محمد ﷺ، فقد أخرج البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**».

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية (٥٥) من سورة الإسراء: ولا خلاف أن محمدًا ﷺ أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى على المشهور. اهـ.

٧- أن نبينا ﷺ هو خاتمهم، فلا نبي بعده، قال تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ [الأحزاب:٤٠].

فقد أخرج البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**وإنه لا نبي بعدي**».



الإيمان باليوم الآخر

قال المصنف رحمه الله:

وَالْيَوْمِ الآخِرِ.

الشرح:

قوله: (واليوم الآخر) سمي بذلك لأنه آخر يوم في حياة الإنسان، وآخر يوم في الحياة الدنيا، **انظر:** الفتح حديث (٥٠).

والإيمان باليوم الآخر يتضمن:

الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه، والبعث والنشور، والمحشر، وتطاير الصحف، وأن منهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، والحوض، والميزان، والصراط، والشفاعة، والحساب، والجنة، والنار، وغير ذلك من الأمور التي تتعلق به، ودلائله من الكتاب والسنة مشهورة معلومة.

وإنكار اليوم الآخر بالكلية، أو شيء مما تضمنه بعد قيام الحجة، وبيان المحجة، كُفْرٌ، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ:٣]، فسماهم الله كفارًا لإنكارهم البعث بعد الموت وقيام الساعة.



الإيمان بالقدر

قال المصنف رحمه الله:

وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ،[كُلِّه مِنَ الله][(١)].

الشـرح:

قوله: (وتؤمن بالقدر خيره وشره، كله من الله) الإيمان بالقدر خيره وشره وأنه من عند الله، واجب على كل من أراد تحقيق الإيمان وكماله، وأحب أن يكون من أهل الجنة، فقد روى أحمد (٥/ ١٨٢)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك**»، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وللقدر أربع مراتب مجموعة في قول الشاعر:

علـــم كتابـــة مولانـــا مـــشيئته ... خلقـــه وهـــو إيجـــاد وتكـــوين

والأدلة على هذه المراتب:

١- العلم، ودليله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، وقوله: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠].

(١) زيادة من المخطوط.

٢- الكتابة، ودليلها: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

٣- المشيئة، ودليلها: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

٤- الخلق، ودليله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

وهذه هي مراتب القدر عند أهل السنة والجماعة خلافًا للقدرية والجبرية الذين خالفوا النصوص، وإجماع السلف.

وسبب وقوعهم في هذا الضلال البعيد: الجهل بنصوص الكتاب والسنة، واتباع أهوائهم، وعدم انصياعهم لجميع الأدلة، وإنما أخذوا ببعض وتركوا بعضًا، وحكموا عقولهم في ذلك.

فأما القدرية فمنهم الغلاة الذين أنكروا العلم والكتابة عن الله، فكَفَّرَهم مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهذا القسم قد انقرض، قاله النووي وغيره.

ومنهم من أنكر المشيئة والخلق فبدَّعهم أهل العلم.

وأما الجبرية فغلوا في إثبات هذه المراتب حتى سلبوا العبد المشيئة والإرادة والقدرة، وقالوا: ما من عمل يعمله المخلوق من خير وشر فهو من فعل الله -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-.

فالقدرية سلبوا الإرادة والقدرة والمشيئة الكاملة النافذة عن الله، والجبرية سلبوا الإرادة والقدرة والمشيئة عن المخلوق.

وأما أهل السنة والجماعة فأثبتوا لله الإرادة والقدرة والمشيئة الكاملة النافذة، وأثبتوا للمخلوق الإرادة والقدرة والمشيئة الناقصة، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠].

ومن الإيمان بالقدر: الإيمان بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما تقدم في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ومن الإيمان بالقدر: رد الأمر إلى الله في السراء والضراء، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٢٦٦٤): «**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

والمقادير أربعة:

١- التقدير في علم الله، وهذا لا يتغير، بل ما علمه الله واقع لا محالة.

٢- التقدير في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

قال بعض أهل العلم هذا التقدير يتغير، وقال آخرون: الذي في اللوح المحفوظ لا يتغير، وهو الصحيح، وإن التغير إنما يكون في علم الملائكة وهو التقدير السنوي وذلك يكون في ليلة القدر كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤].

٣- التقدير في الرحم، وهو التقدير العمري؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا**» الحديث، أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

٤- وقوع المقادير في أوقاتها التي قدرت وأنها تكون فيه، وهو التقدير اليومي، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]. **انظر:** شرح الأربعين للنووي عند هذا الحديث.

مسألة: بعض الناس يماري بالقدر على فعله المعاصي؟ وهذا لا يجوز بل هو من صفات إبليس حيث قال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦].

وآخرون يحتجون بالقدر على جوازها كحال المشركين القائلين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف:٢٠]، فاستدلوا بالقدر على جواز شركهم، فعلى المسلم أن ينتبه من التشبه بهم فإنه من تشبه بقوم فهو منهم.



دليل أركان الإيمان الستة

قال المصنف رحمه الله :

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

الشـرح: ـــــــــــــــــــــــ

قوله: (والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾)

قوله: ﴿ٱلْبِرَّ﴾ هو طاعة الله وترك معصيته. والفرق بينه وبين التقوى أنهما إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا، فيكون البر معناه فعل الطاعة، والتقوى معناه ترك المعاصي.

قوله: (ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾) قال البغوي في تفسيره: أي: ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ. اهـ.



المرتبة الثالثة: الإحسان

قال المصنف رحمه الله:

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ، وله رُكْنٌ وَاحِدٌ،(١) كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ عليه السلام المَشْهُورُ: عن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ

---

(١) زاد في المخطوط: [والدليل قوله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ الآية].

أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَال: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».(١)

الشـرح:

قوله: (المرتبة الثالثة) أي: من مراتب الدين.

قوله: (الإحسان) هو ضد الإساءة، ولغة: الإتقان، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧].

وفي الشرع على قسمين: إحسان مع الخالق، وإحسان مع المخلوق.

والله سبحانه وتعالى قد أمر بالإحسان فقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣].

ومراد المؤلف الإحسان مع الخالق، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

قوله: (**وله ركن واحد**) أي: الإحسان.

قوله: (**«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**) كما في حديث جبريل عليه السلام الطويل، والذي أورده المصنف.

يدل هذا الحديث على أن للإحسان ركنًا واحدًا فقط، وأنه على مرتبتين ودرجتين، الأولى: «**أن تعبد الله كأنك تراه**». والثانية: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

والمرتبة الأولى تسمى مرتبة المشاهدة والحضور، ويسميها بعضهم: مرتبة الطلب والشوق، ومعناها: كما يدل عليه ظاهر الحديث: أن يعبد المؤمن ربه على وجه الحضور والمشاهدة كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته كأنه يراه عيانًا.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهل هذه المقامات فيه بحسب قوة نفوذ البصائر. اهـ.

وقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» هي المرتبة الثانية، وتسمى مرتبة الإخلاص والمراقبة، ويسميها بعضهم: مرتبة الخوف والهروب، ومعناها: أن يعبد المؤمن ربه على وجه معرفته باطلاع الله عليه، وأنه رقيب عليه، لا تخفى عليه خافية، وإليه الإشارة بآيات ذكرها المؤلف وهي قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وبهذا البيان يظهر جليًّا: أن المرتبة الأولى أعلى من المرتبة الثانية؛ لأنها متضمنة للثانية كيف ذاك؟ يقال: إن من عَبَدَ اللهَ كأنه يراه فهو مستلزم لقوة يقينه وحضور ذهنه وعدم غفلته أن الله يراه، فكانت هذه المرتبة متضمنة للمرتبة الثانية فصارت أعلى منها.

ومما يدل على علوها: أنها موجبة للخشية والخوف والهيبة والتعظيم كما جاء في رواية لمسلم: «**أن تخشى الله كأنك تراه**».

ومن توفرت فيه هذه الصفة دلت على مراقبته لله، وحفظه لحدود الله كما أمره، فقد أخرج الترمذي (٢٥١٦) وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك**».

ويدل هذا أيضًا على قوة إيمانه وخوفه من عقاب الله، والوقوف عند حدود الله.

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾) فيه دليل واضح على أن الله مع المحسن معية نصر وتأييد؛ لأن الله يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿**وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:١٩٥].

ومما يدل على أن الإحسان أعلى مراتب الدين: قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ** ﴾ [فاطر:٣٢].

قوله: (وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾) فيه أن الله يرانا ومطلع علينا حيثما كنا، فعلينا أن نراقبه ونحسن عبادته، وهذه الآية تشير إلى المرتبة الثانية من مراتب الإحسان ألا وهي مرتبة الإخلاص والمراقبة.

انظر: تفسير القرطبي، وابن كثير.

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾) قال ابن كثير: أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون، ولهذا قال ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». اهـ.

قوله: (والدليل من السنة) أي: على مراتب الدين كلها.

قوله: (حديث جبريل المشهور) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم (٨) عن عمر رضي الله عنه.

ومعنى الحديث قد تقدم في تفصيل مراتب الدين.

قوله: (بينما نحن جلوس) كذا قال بناء على اللفظ المتداول على الألسن، وليس في مسلم لفظ: «جلوس»، وإنما لأحمد (١/ ٢٧)، وابن حبان (١٧٣).

ولأحمد أيضًا (١/ ٥٢) وابن ماجه (٦٣) بلفظ: «كنا جلوسًا».

قوله: (يعلمكم دينكم) فسمى هذه المراتب دينًا.

وفي بعض النسخ: «يعلمكم أمر دينكم»، وهذا لفظ ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٤٥).

وهذا فيه: أن السائل قد يكون معلمًا لغيره بسؤاله أهل العلم والمعرفة.



الأصل الثالث: معرفة النبي عليه الصلاة والسلام

قال المصنف رحمه الله:

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا: أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نَبِيًّا رَسُوْلًا. نُبِّئَ بِـ ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق:١]، وَأُرْسِلَ بِـ ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١].

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِيْنَةِ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧].

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِنَ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْز: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وأَهْلِهَا، [وفِرَاقُهَا وَأَهْلَهَا].(١)

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى بِمَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ.

الشــرح:

قوله: (**الأصل الثالث**) بعد أن فرغ المؤلف من الأصل الثاني شرع في ذكر الأصل الثالث والذي بمعرفته والعمل به مع الأصلين الأولين يُحَصِّل العبد النجاة في الدنيا والآخرة.

قوله: (**معرفة نبيكم محمد ﷺ**) وهي واجبة؛ لأن الإيمان لا يتم إلا بها؛ ولأن من أركان الإيمان الإيمان بالرسل؛ ولأنها الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام -كما تقدم-.

قوله: (**وهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم**) و(محمد) هو أشهر أسمائه الذي سماه به أهله، والذي جاء في القرآن في مواضع كثيرة معلومة.

وهو أفضلها وأعظمها؛ لأنه يدل على كثرة خصاله المحمودة الجميلة.

وقد جاء في القرآن تسميته بأحمد، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

---

(١) زيادة من المخطوط.

وقال ﷺ: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»، أخرجه البخاري (٣٥٣٢) ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

قوله: (**وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-**) جاء في مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

وأصح ما انتهى إليه نسبه ﷺ بالإجماع: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

انظر: مقدمة كتاب المجموع للنووي رحمه الله (ص:٣٠)، والبداية والنهاية (٢/ ٢٣٧).

قوله: (**وله من العمر ثلاث وستون سنة**) كما في البخاري (٣٥٣٦ و٣٥٤٧) ومسلم (٢٣٤٧- ٢٣٤٨) عن أنس وعائشة رضي الله عنهما، وعن معاوية رضي الله عنه في مسلم (٢٣٥٢).

قوله: (**منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولًا**) ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري (٣٩٠٢) ومسلم (٢٣٥١)، وفيه أيضًا أنه توفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين.

قوله: (**نُبِئ بـ ﴿اقرأ﴾**) أي: بالخمس الآيات الأولى منها لا بكلِّ السورة، كما في البخاري (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

قوله: (**وأُرسل بالمدثر**) أي: بالآيات الأولى من سورة المدثر كما سيأتي من كلام المصنف، وقد رواه البخاري (٤) ومسلم (١٦١) عن جابر رضي الله عنه.

والمدثر: المتلفف بثيابه من الدثار، وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار، والشعار الثوب الذي يلي الجسد.

قوله: (**ويلده مكة**) أي: بلده التي وُلد فيها، ونشأ بها مكة حتى هاجر إلى المدينة.

قوله: (**بعثه الله بالنذارة عن الشرك**) أي: بالإنذار عن الشرك الأكبر والأصغر، الدقيق والجليل، الظاهر والخفي، وأمره بإنذار قرابته قبل غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤].

وفي البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟!**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:١-٢].

قوله: (**ويدعو إلى التوحيد**) أي: يدعو الناس إلى عبادة الله وحده.

هذه الجمل من المصنف عرفتنا بالنبي ﷺ في خمسة أمور:

الأول: معرفة نسبه.

الثاني: معرفة مولده وبلده ومُهَاجَرِه وعمره.

الثالث: معرفة بماذا كان نبيًا ورسولًا.

الرابع: معرفة بماذا أُرسل.

الخامس: معرفة مدة نبوته.

قوله: (والدليل) أي: على إرساله ونذارته عن الشرك وأمره بالتوحيد.

قوله: (﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾) الخ هذا تفسير من المؤلف لهذه الآيات بما يكفي ويشفي.

قوله: (أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد) أي: أخذ على الدعوة إلى التوحيد بمكة عشر سنين، لم يأمر أحدًا بصلاة، ولا صوم، ولا زكاة؛ لأنه لم يُوحَ إليه بهذه الفرائض بَعْدُ.

قوله: (وبعد العشر عُرج به إلى السماء) يقظة لا منامًا، وأما قول من يقول: إن المعراج بعد الهجرة، وأنه في المنام فضعيف، **وانظر:** تفسير القرطبي أول سورة الإسراء.

قوله: (وفرضت عليه الصلوات الخمس) كما في حديث الإسراء والمعراج الطويل عند البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٢) عن أنس رضي الله عنه.

قوله: (وصلى بمكة ثلاث سنين) أي: قبل الهجرة بثلاث سنين تقريبًا، وكانت صلاته ركعتين ركعتين، فلما هاجر أُقرت صلاة السفر، وزيدت في صلاة الحضر؛ لحديث عائشة رضي الله عنها في البخاري (٣٥٠) ومسلم (٦٨٥).



وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام

قال المصنف رحمه الله:

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلام.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رحمه الله: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

الشرح:

قوله: (**وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة**) وذلك لما اشتد عليه ﷺ أذى قريش له ولأصحابه، أذن الله له بالهجرة من مكة إلى المدينة؛ ليظهر دعوته، ويبلغ رسالة ربه.

قوله: (**والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام**) هذا معنى الهجرة في الشرع، ومعناها في اللغة: الترك.

ومن معاني الهجرة الشرعية: ترك المعاصي، كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في البخاري (١٠) ومسلم (٤٠) عن النبي ﷺ قال: «**والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

ويجمع المعنيين: قوله ﷺ: «**إن الهجرة خصلتان، إحداهما: أن تهجر السيئات. والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله**»، الحديث، أخرجه أحمد (١/ ١٩٢) من حديث عبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن عمرو، ومعاوية رضي الله عنهم بسند حسن.

قوله: (**والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة**) فالهجرة فرض على كل مؤمن قادر عليها لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر؛ لأن إسلامه لا يتم إلا بإظهاره، أما إذا كان متمكنًا من إظهار دينه فتستحب له الهجرة، فإن كان عاجزًا لمرض أو أَسْرٍ ونحوهما فمعذور لا يلحقه إثم.

انظر: الفتح (٣٠٧٧).

وأما الإقامة في بلد الكفر فلها شرطان أساسيان:

الأول: أن يكون عنده من الإيمان ما يدفع به الشهوات، ومن العلم ما يدفع به الشبهات، مع إضمار بغضهم ومعاداتهم.

الثاني: التمكن من إظهار شعائر دينه من غير منع يتخفى به أو أذية تلحق به الضرر.

والذين يقيمون في بلاد الكفار على أقسام ولكل قسم شروط مع الشرطين المتقدمين:

أ) أن تكون إقامته لنشر الإسلام ومحاسنه من غير منع أو أذية تهلكه.

ب) أن تكون إقامته لدراسة أحوال الكافرين ومساويهم لقصد التحذير منهم، والتنفير عنهم، وبيان عقائدهم الفاسدة، بشرط تحقق هذه الثمرات من غير منع، أو وقوع مفسدة أعظم.

ج) أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة كموظفي السفارات الذين يوجهون أبناء المسلمين هناك.

د) أن يقيم من أجل التجارة، وهذا يكون على قدر الحاجة.

هـ) أن يقيم لدراسة شيء يحتاجه، ويحتاجه المسلمون، بشرط أن لا يكون هذا العلم عند المسلمين.

و) ألا تكون إقامته إقامة كاملة؛ لأنه أخطر ما يكون، إذ ليس لإقامته حاجة فلا يجوز.

انظر: مجموع فتاوى العلامة العثيمين (٣/ ٢٥-٣٠)، وفتاوى اللجنة الدائمة (١٢/ ١٣٧-١٣٨)، واسمع شريط شرح نواقض الإسلام للعلامة ابن باز رحمه الله فإني أنصح بسماعه.

قوله: (والدليل قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾** الخ) هذان دليلان واضحان على وجوب الهجرة لمن لا يستطيع إظهار دينه في بلاد الكفر مع قدرته على الهجرة، وهو أمر مجمع عليه، **انظر:** تفسير ابن كثير.

قوله: (قال البغوي رحمه الله: نزلت هذه الآية في المسلمين الذين بمكة ولم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان) كما في صحيح البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكلام البغوي في تفسيره أورده المصنف هنا بالمعنى.

والبغوي: هو محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف الكثيرة الماتعة، والأسفار النافعة، كان عالمًا إمامًا زاهدًا ورعًا، توفي رحمه الله سنة (٥١٦ هـ).

قوله: ⟨**والدليل على الهجرة من السنة: قوله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»**⟩ أخرجه أحمد (٤/ ٩٩) من حديث معاوية رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٣٨١) عن عبدالرحمن بن عوف، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم، وهو صحيح بشواهده، **انظر**: الإرواء (١٢٠٨).



متى فُرضت غالب شرائع الإسلام

قال المصنف رحمه الله:

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

الشـرح:

قوله: (فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام) أي: لما استقر النبي ﷺ في المدينة النبوية أَمر الناس ببقية شرائع الإسلام التي أمره الله بها، وذلك أنه في مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فُرضت عليه الصلوات الخمس وهو في مكة، ثم هاجر إلى المدينة ولم تُفرض عليه الزكاة والصيام ولا غيرها من الفرائض إلا بعد الهجرة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فُرضت أولًا في مكة، لكنها لم يُقدر نصابها ولم يُقدر الواجب فيها، وفي المدينة قُدِّر نصابها وقُدِّر الواجب، واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورٍ مكية مثل: قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]، ومثل: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:٢٤-٢٥] وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير نِصَابها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة. فالزكاة والصيام قد فُرضا في السنة الثانية من الهجرة.

وأما الحج فلم يُفرض إلا في السنة العاشرة على القول الراجح من أقوال أهل العلم، وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة.

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فُرضت في المدينة بعد استقرار النبي ﷺ فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

انظر: شرح ثلاثة الأصول للعلامة العثيمين رحمه الله (ص:١٣٩-١٤٠).

قوله: (**أخذ على هذا عشر سنين**) أي: أخذ النبي ﷺ عشر سنين بعد هجرته على تبليغ الرسالة، وإقامة الشعائر، وجهاد الكفار، وفرض العبادات، والترغيب فيها.



وفاته عليه الصلاة والسلام وبقاء دينه

قال المصنف رحمه الله:

وَتُوُفِّيَ -صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

الشـرح:

قوله: (وتوفي-صلاة الله وسلامه عليه-) في الثاني عشر من ربيع الأول، في العام الحادي عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث و ستين سنة، كما تقدم قريبًا.

قوله: (ودينه باقٍ) وهو الإسلام الذي بعثه الله به، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

وفي صحيح مسلم (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه في حديث حجة النبي ﷺ أنه خطبهم بعرفة، وكان مما قال: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟**».

وله (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطبهم -وكان أثناء رجوعه من الحج- وقال: «**ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**».

قوله: (**وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه**) هذا هو شأن الأنبياء عليهم السلام كما في مسلم (١٨٤٤) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**».

وفي حديث العرباض رضي الله عنه الصحيح بشواهده: «**تركنا على البيضاء ليلها كنهارها**».

قوله: (**والخير الذي دلها عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه. والشر الذي حذرها عنه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه**) قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف:١٥٧].



بعثته إلى جميع الثقلين حتى أُكمل به الدين

قال المصنف رحمه الله:

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

الشـرح:

قوله: (بعثه الله إلى الناس كافة) عربهم وعجمهم، أسودهم وأحمرهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

وفي البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي -وذكر منها-: وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم (٥٢٣): «**وأرسلت إلى الخلق كافة**» فيدخل فيهم الجن.

قوله: (**وافترض طاعته على جميع الثقلين، الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾**) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى لنبيه ورسوله ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه

مبعوث إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود:١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [آل عمران:٢٠].

والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم. اهـ.

ومن الأدلة على أنه مبعوث للجن أيضًا: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

والآيات في آخر سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢]، وهكذا أول سورة الجن.

قوله: (وكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾) جاء في البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧) عن عمر رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت يوم عرفة يوم الجمعة.



برهان موته عليه الصلاة والسلام وبَعْثِ الناس من قبورهم

قال المصنف رحمه الله:

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠-٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

الشـرح: ______________________________

قوله: (والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾) هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت نبينا ﷺ، حتى تحقق الناس موته، مع قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين

مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومعنى الآية الثانية: أنكم ستنتقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷻ، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين. اهـ من تفسير ابن كثير ؒ.

قوله: (**والناس إذا ماتوا يبعثون**) بخروجهم من قبورهم يوم القيامة أحياء، قد عادت أرواحهم إلى أجسادهم التي كانت فيها في الدنيا كما دلت على هذا نصوص الكتاب والسنة، وعليه إجماع المسلمين، واليهود والنصارى.

وخالفت الفلاسفة فنفوا البعث الجثماني وهذا كفر.

وطائفة أخرى تقول: ببعث الأجساد دون الأرواح، وهذا فسق وضلال.

وطائفة ثالثة: قالت: ببعث الروح في غير الجسد الذي كانت فيه، وهذا ابتداع.

انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٣)، وشرح الواسطية للهراس (ص:٦٥).

قوله: (**والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾**) أي: فيبعثهم الله ﷻ أحياء -بإعادة أرواحهم التي كانت فيهم إليهم- بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور.

قوله: (**وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾**) يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل، وخلق الخلق

بالحق، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِالْحُسْنَى﴾ أي: يجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. اهـ من تفسير ابن كثير رحمه الله.

قوله: (وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾) لأن الإيمان بالبعث بعد الموت ركن من أركان الإيمان؛ ولأنه لا يتم إيمان العبد إلا به؛ ولأنه أمر مجمع عليه عند أهل الملل، ولذلك فإن المسلم إذا كذب بالبعث بعد الموت كَفَرَ كفرًا يخرجه من الإسلام، ويُوجب عليه الخلود في النار.



بعث الله الأنبياء مبشرين ومنذرين

قال المصنف رحمه الله:

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَولُهُمْ: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، [ولا نبي بعده، والدليل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]].(١)

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].

الشرح:

قوله: (وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾) بيّن المؤلف أن الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يبشرون من أطاعهم بالجنة، وينذرون من خالفهم بالنار.

---

(١) زيادة من المخطوط.

وإرسال الرسل له حِكَمٌ عظيمة -كما في هذه الآية التي ذكرها المؤلف- وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وسيذكر المصنف رحمه الله الحكمة التي من أجلها أرسل الله الأنبياء عليهم السلام.

قوله: (وَأَوَّلُهُمْ: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، [ولا نبي بعده، والدليل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾] وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾) ووجه الاستدلال بالآية الأولى ظاهر وهو: أنه أخبر أنه خاتم النبيين، ولقوله ﷺ «وخُتم بي النبيون»، أخرجه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فمن ادعى النبوة لنفسه أو لغيره بعده ﷺ فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام؛ لتكذيبه بالقرآن، ورده لقوله ﷺ: «لا نبي بعدي»، أخرجه البخاري (٣٤٥٥ و٤٤١٦) ومسلم (١٨٤٢ و٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ووجه الاستدلال بالآية الأخرى ظاهر أيضًا: حيث أن الله بدأ بذكر نوح عليه السلام؛ لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧]؛ ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عُذِّبت أمته لردِّهم دعوته، وأُهْلك أهل الأرض بدعائه، وكان أطول الأنبياء عليهم السلام عُمُرًا، وجعلت معجزته في نفسه؛ لأنه عُمِّر ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولم يصبر نبيٌّ على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره.

انظر: تفسير البغوي.

وفي حديث الشفاعة: «**فيأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض**» أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

بيان دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم

قال المصنف رحمه الله:

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْها رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شريك له، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ العلامة ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إلا اللهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

الشرح:

قوله: (**وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شريك له، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾**) فكل الرسل متفقون على هذين الأمرين: الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة الطاغوت والكفر به.

وهذه الآية نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقوله: ﴿**وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾ [الزخرف:٤٥].

قوله: (**وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ**)، تقدم أن الكفر بالطاغوت لا يتم إلا بخمسة أمور، وهي: اعتقاد بطلانها، وكفر أهلها، ومعاداتهم، وبغضهم جميعًا، وتركهم، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

والإيمان بالله قد تقدم الكلام عليه في المرتبة الثانية من الأصل الثاني.

ثم ذكر المؤلف معنى الطاغوت فقال:

(**قَالَ العلامة ابْنُ الْقَيِّمِ** رحمه الله: **مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ**) وكلامه هذا في كتابه إعلام الموقعين (١/ ٥٠)، وهو يُعد أحسن تعريف للطاغوت.

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية: والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء. اهـ.

قوله: (**والطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ**) أي: زعماؤهم ومراجعهم وكبراؤهم.

قوله: (إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ) وهو أبو الجن، لعنه ربه؛ لأنه عارض أمره، واعترض عليه في سلطانه، فلعنه وأبعده من رحمته، وأقصاه وطرده من جنته، قال تعالى: ﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١١٧-١١٨]، وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص:٧٨].

قوله: (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) سواء عُبِدَ في حياته، أو بعد مماته إذا مات وهو راضٍ بذلك، كشأن غلاة الصوفية والشيعة.

قوله: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) أي: من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه.

قوله: (وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) لأن أمر الغيب من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠]، والأدلة في هذا المعنى كثيرة.

قوله: (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ) لأن الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية من جهة الفعل، ومن توحيد الألوهية من جهة التعبد به، والله تعالى وصف المتبوعين في غير ما أنزله تعالى أربابًا لمتبعيهم، فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وليُعلم: أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يكون كفرًا أكبر، إلا باعتقاد حلِّه، أو باعتقاد أنه أحسن أو مماثل للحكم بما أنزل الله. أما إذا اعتقد تحريمه، ووجوب الحكم بما أنزل الله، ثم حكم بغير ما أنزل الله كان فاسقًا إذا كان لشهوة، أو ظالمًا إذا كان لهوى.

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾) ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ لظهور أدلته ووضوحها، ولهذا قال بعده: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ فإذا تبين الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة لا بد أن تختار الرشد على الغي.

والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، كما قال:

(وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إِلا اللهُ) أي: لا معبود بحق إلا الله -كما تقدم-.

قوله: (وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ») رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣و٤٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وهو حسن بشواهده كما بيناه في تحقيق الأربعين النووية بالأسانيد.

قوله: (رأس الأمر) أي: رأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ هو: الإسلام.

قوله: (وعموده الصلاة) لأنه لا يقوم إلا بها، ولهذا كان القول الصحيح كفر تارك الصلاة، وأنه ليس بمسلم لسقوط العمود.

قوله: (وذِروة سنامه) بكسر الذال أي: أعلاه، والمراد به الجهاد في سبيل الله بضوابطه الشرعية التي بينها علماء أهل السنة والجماعة، لا فوضى الخوارج والحركيين والطائشين.

وختم المصنف رحمه الله بهذا الحديث إشارة إلى أن دعوة نبينا محمد ﷺ ما انتشرت إلا بالجهاد في سبيل الله لمن عاند الحق وعارضه.

تم المقصود من التعليق الموجز على هذه الرسالة العظيمة بما نرجو الله أن ينفع بها كاتبه وقارئه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للبريات، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ما بقيت الأرض والسموات.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
نماذج من المخطوط ٧
صورة من الصفحة الأولى ٧
صورة من الصفحة الأخيرة ٧
ترجمة مختصرة عن المؤلف ٨
الأربع المسائل ١٢
المسألة الأولى ١٤
المسألة الثانية والثالثة والرابعة ١٩
دليل الأربع المسائل ٢١
الثلاث المسائل ٢٤
المسألة الثانية ٢٧
المسألة الثالثة ٢٩
بيان الحنيفية ٣١
الأصول الثلاثة ٣٥
دلائل معرفة الله سبحانه ٣٩
أنواع العبادة ٤٣
الخوف ٤٧
الرجاء ٤٩
التوكل ٥١
الرغبة والرهبة والخشوع والخشية ٥٤

الإنابة ٥٦
الاستعانة ٥٨
الاستعاذة ٦٢
الاستغاثة ٦٤
الذبح ٦٦
النذر ٦٨
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام ٧٠
المرتبة الأولى: الإسلام وأركانه ٧٢
دليل شهادة أن لا إله إلا الله ٧٤
دليل شهادة أن محمدًا رسول الله ٧٩
دليل الصلاة والزكاة ٨٢
الصيام ٨٨
الحج ٩٠
المرتبة الثانية: الإيمان وأركانه ٩٢
الإيمان بالله ٩٥
الإيمان بالملائكة ٩٩
الإيمان بالكتب ١٠١
الإيمان بالرسل ١٠٣
الإيمان باليوم الآخر ١٠٦
الإيمان بالقدر ١٠٧
دليل أركان الإيمان الستة ١١١
المرتبة الثالثة: الإحسان ١١٢

الأصل الثالث: معرفة النبي عليه الصلاة والسلام ١١٧
وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ١٢٢
متى فُرضت غالب شرائع الإسلام ١٢٦
وفاته عليه الصلاة والسلام وبقاء دينه ١٢٨
بعثته إلى جميع الثقلين حتى أُكمل به الدين ١٣٠
برهان موته عليه الصلاة والسلام وبعث الناس من قبورهم ١٣٢
بعث الله الأنبياء مبشرين ومنذرين ١٣٥
بيان دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم ١٣٧
فهرس الموضوعات ١٤١

التبيان الألمع

على

القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٢١٩٥٢

دار الآثار للنشر والتوزيع

٢٨ شارع منشية التحرير - جسر السويس - عين شمس الشرقية
القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف وفاكس / ٠٠٢٠٢٢٦٣٦٣٧٨٦ - ٠٠٢٠٢٢٦٤٢٢٢٢٣
جوال/ ٠٠٢٠١٠٠١٠٥٠٦٠٢ - ٠٠٢٠١٠٠١٢٢٠٨٣٧
E.MAIL: tarek1-tttt@hotmail.com
d_alathar@hotmail.com

التبيان الألمع على القواعد الأربع

تأليف شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب النجدي
رحمه الله
(١١١٥هـ - ١٢٠٦)

شرحه وحققه وعلق عليه واعتنى به
وقابله على نسختين خطيتين
أبو عبد الله
محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد باجمال

دار الآثار
للنشر والتوزيع



مقدمة الشارح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن متن «القواعد الأربع» لمؤلفه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي رحمه الله لمعدود من الكتب النافعة، والتآليف الماتعة، التي أوضحت أهمية التوحيد، ووجوب تعلمه، ولزوم العناية به، وضرورة الحذر مما يفسده ويبطله من شبكة الشرك الأكبر، وحبائله الموصلة إليه كالشرك الأصغر، وبيان ما يدفع شُبَهَ المشركين المتأخرين، وما يدجلون به على جهلة المسلمين، من تعظيم القبور، بشد الرحل إليها، والطواف بها، وصرف النذور لها، ودعاء أهلها، والاستغاثة عند الشدائد برفاتها، وهو مُصوَّر عندهم بأنه من أجل القربات، وآكد الطاعات، وسبب تحصيل البركات!!.

والحق: أنه السم الزعاف، الجارف إلى طريق أهل الانحراف، الداعيين إلى تعظيم أنفسهم، والغلو في منازلهم، والحط ممن خالفهم، بلا مستند صحيح، ولا ما يعتمد عليه عند أهل التحقيق والتوضيح.

أهمية متن القواعد الأربع:

إن رسائل هذا الإمام رحمه الله عالجت هذا الباب علاجًا نافعًا؛ لسهولة عباراته، وجميل تلخيصاته، وقوة استدلالاته، القائمة على الأدلة الجلية، من آي الكتاب والأحاديث النبوية، فعم نفعها، وانتشر خيرها، وذاع صيتها، واغتاظ شانئها، وكُبت أعداؤها.

وهذه الرسالة التي بين أيدينا قد اعتنى علماؤنا وطلاب العلم بتلقينها الصغار والكبار، وتدريسها، وشرحها، وإيضاح معانيها، وبيان قواعدها، والعناية بها، وإشاعتها؛ لعظيم فائدتها، وكبير نفعها.

قال مصنف هذه الرسالة رحمه الله في بعض نسخ هذه الرسالة كما في الدرر السنية (٣/ ٢٧): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فهذه أربع قواعد، ذكرها الله في محكم كتابه، يعرف بها الرجل: شهادة أن لا إله إلا الله، ويميز بها بين المسلمين والمشركين، فتدبرها يرحمك الله، وأَصْغِ إليها فهمك؛ فإنها عظيمة النفع. اهـ.

وقال العلامة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في رسالته: «الرد على ما في ورقة رجل من فارس لما تضمنته من الشقاق لأهل التوحيد» كما في الدرر السنية في الكتب النجدية (١٥/ ٣٦٥-٣٦٨) مبينًا عظيم أمر هذه القواعد، وكبير منزلتها، وخطورة من أنكرها وردها:

وكذلك القواعد، فإن كل مسألة ينبني عليها مسائل، يسميها العلماء قاعدة، وقد صنف العلماء كتبًا كبارًا، وسموها بالقواعد؛ فمنها ما هو في أصول الفقه، وهذه القواعد التي وضعها شيخنا رحمه الله، أحق بهذا الاسم من غيرها، لما ينبني عليها من أصول الدين؛ فإن معرفة توحيد الربوبية، من توحيد الإلهية، لا يسع أحدًا جهله.

إلى أن قال: فمن أنكر هذه القواعد التي وضعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، فقد كفر بما تضمنته من أدلة أصول الدين، التي تضمنتها آيات القرآن المحكمات وصحيح الأحاديث؛ وذلك هو الدين القيم، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [سورة البينة آية: ٥].

وبهذا البيان، يعلم المنصف أنه لا ينكر تلك القواعد إلا من أقعده جهله، وعميت بصيرته، وضل فهمه، وتغيرت فطرته، وضاع عقله، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله معرفة الحق وقبوله، ومحبته والعمل به والثبات عليه، والاستقامة في الدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا. اهـ.

منهجي في هذا الكتاب:

١- عزو الآيات إلى سورها ورقم الآية.

٢- عزو الحديث إلى مصادره وبيان درجته.

٣- ضبط المتن بالشكل.

٤- شرح ألفاظها، وبيان غريبها، والتعليق على مباحثها.

٥- جعلت شرح كل جملة تحت عنوان؛ ليسهل فهمه والوصول إليه.

٦- مقابلته على مخطوطتين ومطبوعتين؛ لتحقيق ألفاظ النص، من غير المبالغة بما يشوش على القارئ من ذكر الفروق، حيث أُثبت الصواب فقط، وإن كان من زيادة مفيدة، أجعلها بين معقوفتين، وأحيل إلى مصدرها.

أما المخطوطتان: **فالأولى**: من مكتبة عنيزة. **والثانية**: من مكتبة الكويت.

وأما المطبوعتان، **فالأولى**: ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٢٣-٢٦).

والثانية: ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (١/ ١٩٩-٢٠٢).

٧- ترجمة مختصرة للمصنف.

كتبه الفقير إلى عفو ربه :

أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد باجمال



نماذج من المخطوطة

صورة من المخطوطة الأولى

صورة من الصفحة الأخيرة

ترجمة موجزة عن المؤلف رحمه الله

نسبته:

هو شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أَحمد بن راشد التميمي.

مولده:

ولد هذا العالم الجهبذ سنة ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٣م في بلدة العيَينة الواقعة شمال الرياض، ونشأ في حِجْر أبيه في تلك البلدة، في بيت علم وشرف.

فأبوه عبدالوهاب بن سليمان عالم كبير، وفقيه جليل، عارف بالتفسير والحديث، وله المعرفة الواسعة بذلك وغيرها من علوم الدين والشريعة.

وكان قاضيًا مقسطًا في بلدة العيينة، وكان مشهورًا بالتواضع والأخلاق الحسنة.

وجده سليمان والد أبيه كان من العلماء الأجلاء الذين أصبحوا أعلم علماء نجد بمذهب أحمد في زمانه.

وله أخ أكبر منه اسمه سليمان، وله عم اسمه إبراهيم، وابن عم اسمه عبدالرحمن، وكانوا معروفين بالعلم والفقه وحب العلم وطلبه.

نشأته في طلب العلم:

نشأ هذا العالم في بيت علم وشرف وفقه وتواضع وأخلاق حسنة وصفات فاضلة، لا بيت لهو ولعب، فحفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين وكان بيته هو المدرسة الأولى، فما احتاج إلى مكاتب كما يفعل الصبيان الآخرون، فأبوه هو مدرسه ومعلمه، وعلى يده حفظ القرآن ثم قرأ على والده مبادئ الصرف والنحو وقواعد اللغة، وبعض كتب الفقه والحديث على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ﷺ، وبعض كتب التفسير.

وكان حريصًا على تفهم ما يقرأه وما يسمعه تفهمًا دقيقًا مما أثار إعجاب والده به، واستبشاره به لما رأى عليه من الحرص على العلم والفطنة والذكاء وقوة الحافظة.

ثم بعد ذلك ذهب يطلب العلم في نواحي نجد ومكة والمدينة، وقرأ ودرس على علمائها في فنون شتى حتى حاز إجازة بالأمهات، وكان يحفظ متونًا كثيرة في فنون متنوعة، وكان لا يسأم من الكتابة والبحث، وقد خطَّ كتبًا كثيرة بيده من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله- .

وكان ذلك سببًا كبيرًا في معرفته دعوة التوحيد والسنة، فقد لاحظ في نجد وفي غيرها من البلاد الإسلامية وجود الشرك فيها، فبدأ بإنكارها بالسر حتى أوذي في سبيل الله رحمه الله وخرج من بلده إلى حريملاء، ثم إلى العراق، ثم إلى بلاد الشام، ثم رجع وقد كبر أبوه - وكان بارًّا به- وكان أبوه موافقًا لدعوته لكن ينصحه بالصبر فأخذ بنصيحة أبيه.

فلما توفي أبوه سنة ١١٥٣هـ أخذ بإعلان دعوته جهارًا بالدعوة إلى التوحيد والسنة والتحذير من دعوة الشرك والبدعة، والإنكار على دعاتها، فلقي بسبب ذلك شدة وأذية لكنه صبر حتى يسر الله له الولاة من آل سعود فناصروه حتى قويت شوكته، وذاع صيته، فأخذ بالمكاتبات وإرسال الرسائل إلى القبائل وإلى من عُرف بالعلم بدعوتهم إلى الإسلام الصحيح بنبذ الشرك والبدع، فكانت نتيجة هذه الرسائل والمكاتبات أن منهم من وافقه واستجاب وانتفع بما فيها من دلائل واضحات، وبراهين ساطعات.

ومنهم من لم يوافقه فأخذ بجهاد وقتال من أعرض عن قبول الحق وعاند وأصر على باطله وغيِّه ومكابرته؛ لأنه رأى أن الحجة قد قامت عليهم فنصر الله دعوته وبقيت إلى يومنا هذا منصورة مؤيدة من الله عز وجل ، وهذا دليل على إخلاصه لله في دعوته رحمه الله - فيما نحسبه والله حسيبه- .

مؤلفاته:

من أشهرها وأحسنها وأعظمها نفعًا: (كتاب التوحيد)، و(الأصول الثلاثة)، و(كشف الشبهات)، و(نواقض الإسلام)، و(أصول الإيمان)، و(القواعد الأربع) الذي نحن بصدد التعليق عليه.

أولاده:

له مجموعة من الأولاد كلهم علماء، وهم: حسن، وعبدالله، وعبدالعزيز، وحسين.

وله من أحفاده علماء أيضًا: كسليمان بن عبدالله، وعبدالرحمن بن حسن، وكل من تسمع اليوم يقال له: (آل الشيخ) فهم من أحفاده.

وفاته:

توفي رحمه الله عام ١٢٠٦هـ بعد إصابته بمرض لم يمهله طويلًا حتى مات في بلدة الدرعية عن عمر بلغ ٩١ سنة تقريبًا، نسأل الله لنا وله الرحمةَ والرضوان.



مقدمة المصنف رحمه الله للقواعد الأربع

قال المصنف رحمه الله:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيْمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ:

١- أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٢- وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ.

٣- وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ.

٤- وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ.

٥- وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ.

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اِعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ-: أَنَّ الْحَنِيْفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيْعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، [كَمَا] (١) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من الدرر السنية (٢/ ٢٣).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيْدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا [مَعَ][(٢)] الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ اللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [التوبة: ١٧].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِيْنَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ [الَّذِيْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيْهِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]].[(٣)]

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.



---

(٢) ما بين المعقوفتين من الدرر السنية (٢/ ٢٣)، والذي في المخطوط: (إلا بالطهارة).

(٣) ما بين المعقوفتين من كتاب مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (١/ ٩٩).

قال المصنف رحمه الله:

(**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**).

الشرح: ________________________________

استفتح المصنف رحمه الله هذه القواعد المباركة بالبسملة؛ لأربعة أمور:

أحدها: اقتداء بكتاب الله العزيز، فما من سورة من سور القرآن إلا وهي مبدوءة بالبسملة سوى سورة التوبة.

ثانيها: اقتداء بفعل رسول الله ﷺ في كتاباته ورسائله التي يبعثها إلى الملوك ورءوس الناس، فقد جاء في البخاري (٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي سفيان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عَبْدِ الله ورسولِه إلى هرقل عظيم الروم**».

ثالثها: التأسي بفعل السلف الصالح، وعلماء الإسلام في كتاباتهم وخطبهم.

وأما حديث: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بـ: بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**» وفي رواية: «**فهو أقطع**» لا يثبت.

انظر: الإرواء أول حديثين.

رابعها: التبرك بها، والابتداء باسمه سبحانه؛ ليعين على إتمام الكتاب وإكماله.

قال الإمام المفسر الكبير محمد بن جرير رحمه الله في تفسير البسملة من سورة الفاتحة:

إن الله تعالى ذكره، وتقدَّست أسماؤه، أدَّب نبيه محمدًا ﷺ بتعليمه تقديمَ ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدَّم إليه في وَصفه بها قبل جميع مُهمَّاته، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلَّمه

إياه منه لجميع خلقه سُنَّةً يستَنُّون بها، وسبيلًا يتَّبعونه عليها، فَبِهِ افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم، وكتبهم، وحاجاتهم. اهـ.

❖ قوله: (بسم الله) الباء تحتاج إلى فعل اختلف العلماء في تقديره على أقوال:

أولها: أقرأ مبتدئًا أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله، وكذا في سائر أقواله وأفعاله، روي عن ابن عباس ﭭ، وهو اختيار ابن جرير ﭬ، وانتصر له بذكر دلائله عليه، وإيراد حججه فيه: بأن من قال: بسم الله، أغنى حاله عن إيضاح مقصوده؛ لأن من أراد أن يقرأ أو يقعد أو يقوم أو يأكل وسائر أقواله وأفعاله، فإنه يقول: بسم الله، إعلامًا لنا بأنه يقول: أقرأ بسم الله، أقعد بسم الله، أي: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء.

وعلل ذلك: بأن العباد إنما أُمِروا أن يبتدئوا عند فواتح أمورِهم بتسمية الله، لا بالخبر عن عظمته وصفاته، كالذي أمِروا به من التسمية على الذبائح والصَّيد، وعند المَطعم والمَشرب، وسائر أفعالهم. وكذلك الذي أمِروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله، وصدور رسائلهم وكتبهم. اهـ.

ثانيها: أنها بمعنى الاستعانة وطلب التوفيق، أي: أقرأ بعون الله وتوفيقه، وهكذا في سائر أقواله وأفعاله.

ثالثها: الباء بهاءُ الله، والسين: سناؤه، والميم: مملكته، رُوي مرفوعًا ولا يصح.

❖ وقوله: (الله) أصله الإله، من ألَـهَ يألَـهُ إلَاهَةً وألوهية، معناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، روي عن ابن عباس ﭭ، أي: الذي يَألَـهُهُ كلُّ شيء، ويعبده كل خلْقٍ.

ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيـــات الـــمُدَّهِ ... سبَّحنْ واسترجعن من تَـألُّهِي

يعني: من تعبدي وطلبي اللهَ بعملي.

❖ قوله: (الرحمن الرحيم) أما الرحمن، فهو فَعلان من رحم، والرحيم فعيل منه، فهما مشتقان من الرحمة.

وهما اسمان لله يؤخذ منهما صفة الرحمة.

فإن قيل: إذا كانا مشتقين من رحم فلماذا جمع بينهما؟.

قلنا: للفرق بينهما وتغايرهما من وجوه:

الأول: أن الرحمن خاص في التسمية لله فلا يجوز لأحد أن يتسمى به سوى الله بالإجماع، والرحيم عام في التسمية لله ولغيره، مع اختلاف معنى الصفة وحقيقتها.

الثاني: الرحمن عام في الرحمة لجميع الخلق في الدنيا والآخرة مما يتعلق بمعاشهم ورزقهم ونحو ذلك من النعم التي يشترك فيها المؤمن والكافر، والإنس والجن والحيوان، ومن التسوية بالعدل والقضاء بينهم في الآخرة بلا ظلم.

وأما الرحيم فخاص بالمؤمنين في الدنيا والآخرة، حيث هداهم للإيمان وطاعته في الدنيا، وأثابهم بأعظم المثوبات على ذلك في الآخرة، فأهل الإيمان يرحمون مرتين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، أفاده ابن جرير.

الثالث: الرحمن أي: الرقيق، والرحيم أي: الرفيق، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ضعيف، وما قبله أشبه.

فإن قيل: لماذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ولم يقدم الرحمن أو الرحيم؟.

قلنا: لأن الألوهية ليست لغيره جلّ ثناؤه من وجهٍ من الوجوه، لا من جهة التسمِّي به، ولا من جهة المعنى.

ثم الرحمن؛ لأنه لا يجوز التسمي به، مع جواز وجود شيء من معانيه في الخلق.

ثم الرحيم؛ لجواز التسمي به، ولجواز وجود شيء من معانيه في الخلق.

فبدأ بما لا يجوز اسمًا ومعنى وهو (الله)، ثم بما لا يجوز اسمًا فقط وهو (الرحمن)، ثم بما هو جائز اسمًا ومعنى وهو (الرحيم).

فائدة: الرحمة التي تضاف إلى الله رحمتان:

الأولى: إضافة صفة إلى موصوف بها، كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

الثانية: إضافة مخلوق إلى خالقه، كقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة**»، أخرجه البخاري (٦٤٦٩) ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولمسلم (٢٧٥٣) من حديث سلمان رضي الله عنه.

وقال الله في الحديث القدسي للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي**»، أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٨٤٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٤٠٨-٤١٠).



اسم الله الكريم وعرشه العظيم

قال المصنف رحمه الله:

(**أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيْمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ**).

الشرح: ___

❖ قوله: (**أسأل الله**) استفتح المصنف رحمه الله هذه القواعد بسؤال الله والتضرع بين يديه، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وترفقًا بالسامع والقارئ، وترغيبًا له فيما تضمنته من قواعد نافعة، ووصايا ناجعة، عسى أن يصيب خيرها وفائدتها.

❖ قوله: (**الكريم**) هو اسم من أسماء الله الحسنى، وقد ذكره الله تعالى في ثلاثة مواضع من كتابه، قال سبحانه: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] على قراءة الرفع.

ومن أسماء الله: الأكرم، وذو الإكرام، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق:٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

والكريم معناه: الكثير الخير، العظيم النفع، الدائم الإحسان، الواسع المواهب، والذي له قدر كبير، وشأن عظيم، والمنزه عن النقائص والعيوب.

وهو الكريم في ذاته، الكريم في أسمائه، الكريم في صفاته، الكريم في أفعاله.

فقد وصف الله كلامه بالكرم في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٧].

ووصف عرشه كذلك في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦].

ووصف رَسُولَيْهِ -الملكي والبشري- بالكرم في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠]، وفي [التكوير:١٩]، الأولى في نبينا محمد ﷺ، والثانية في جبريل عليه السلام.

وكذا وصف نبيه موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان:١٧].

ووصف ثوابه وأجره بذلك في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج:٥٠]، وقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، وقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:١١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:١٨]، ولهما نظائر.

وأمر بمخاطبة الوالدين بالقول الكريم في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣].

وجعل الكرامة لمن اتخذ التقوى لباسًا وزادًا في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

ومن أهانه الله ﷻ فلا مُكرم له أبدًا؛ لأن الكرامة تطلب بتقواه وسبيل رضاه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨].

واختار المصنف هذا الاسم طمعًا في كرم الله وفضله وجوده بأن يوفق قارئ رسالته إلى الهداية وطريق السداد.

❖ قوله: (رب) الرب بالألف واللام لا يكون إلا لله سبحانه، والرب هو السيد المالك المتصرف المربي، وكل هذه المعاني لائقة بالله سبحانه.

وتربية الله لخلقه تربيتان: عامة وخاصة.

فالعامة لجميع المخلوقات بخلقهم ورزقهم وهدايتهم في مصالحهم الدنيوية.

والخاصة تربيته لأوليائه المتقين، بإيمانهم، وتقواهم، وصلاحهم، وحفظهم، ورعايتهم، وزيادتهم في الخير.

❖ قوله: (العرش العظيم) والعرش: هو سرير الملك، وعرش الرحمن هو أعظم مخلوقاته وإليه الإشارة بقوله: (العظيم)، وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].



دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بتولي الله له

قال المصنف رحمه الله:

(أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

الشرح: ___________

❖ قوله: (أن يتولاك) أي: أن يتخذك وليًّا، فتكون محبوبًا له، مقربًا منه، موفقًا مسدَّدًا في أقوالك وأفعالك، انظر: القاموس المحيط.

وقد أخرج البخاري في صحيحه (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن الله عز وجل قال: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»، الحديث.

ولا يتولى الله إلا من كان صالحًا في الظاهر والباطن، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ولا يكون العبد وليًّا لله إلا بإيمانه وتقواه، قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

ودلت هذه الآية: على أن من كان وليًّا لله عز وجل أمَّنه مما يخاف في الدنيا والآخرة، وأدخل عليه

السرور يوم يحزن الناس في الدنيا والآخرة.

ودلت الآية أيضًا: أن من كان وليًا لله ﷻ تكون له البشرى في الدنيا بالمتاع الحسن، والعيش الطيب، وبالكرامات التي ترجع إلى بدنه وولده وأهله وماله، وبالبشرى في الآخرة بدخول الجنات، وأعلى الدرجات.

وولاية العبد المسلم تتفاوت بقدر إيمانه وتقواه، كما يدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم، فكلما زاد إيمانه وتقاه، زادت ولايته لله ﷻ، وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]، فهؤلاء كلهم من أهل الإسلام إلا أنهم يتفاوتون بتفاوت إيمانهم وتقواهم.

وكلما ازداد إيمان العبد وتقواه ازداد قربه من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَـٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٧ - ١٤].

وإذا تولّانا الله سبحانه أخرجنا من الظلمات إلى النور -من ظلمات الشرك والكفر والجهل والفسق، إلى نور الإيمان والتوحيد والعلم النافع والعمل الصالح-، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:١١]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

❖ قوله: (**في الدنيا والآخرة**) سميت الدنيا كذلك لأمرين:

أحدهما: لقربها ودنوها، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥].

ثانيهما: لدناءتها وسفولها، يدل عليه قوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

وأما الآخرة فسميت بذلك؛ لأنه لا شيء بعدها، إما نعيم دائم، أو جحيم.

والآخرة بالنسبة للعبد تكون بموته، وأما على العموم فهو بزوال الدنيا وقيام الساعة.



دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالبركة

قال المصنف رحمه الله:

(وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ).

الشرح:

❖ قوله: (**وأن يجعلك مباركًا أينما كنت**)، مبارك اسم مفعول.

والبركة لغة: النماء والبقاء.

وفي الشرع: ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

وقيل: الكثرة من كل ذي خير.

قال العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/ ١٨٦): وحقيقة اللفظة: أن البركة كثرة الخير ودوامه. اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم (٢٨٦): وأصل البركة: ثبوت الخير وكثرته. اهـ.

وهذه الجملة مقتبسة من إخبار عيسى عليه السلام متحدثًا بنعمة ربه ومنته عليه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

وأمر الله نبيه نوحًا عليه السلام أن يسأل ربه البركة، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

وهذا يدل على عظيم شأنها، وكبير أمرها؛ لأن الله إذا جعلك مباركًا أينما كنت فهذا هو غاية المطالب، وأعظم المكاسب، فتحصل البركة لك في رزقك، وفي علمك، وفي عملك، وفي ذريتك، وفي جميع حالك وشأنك، فأينما كنت تصاحبك البركة، ومن كان معك شعر بذلك فأحبك ودنا منك، فهذا خير عظيم، وفضل من الله الكريم.

ومن صفات الله ﷻ: **صفة التبارك كما في آيات كثيرة، قال سبحانه:** ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **وقال:** ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، **فلهذا تُطلب منه وحده البركة.**

وكلام الله مبارك كما قال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢]، وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]، وقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٥٠]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وبيته الحرام مبارك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦].

وقد جعل الله البركة في أشياء كثيرة، إلا أن كثيرًا من العباد سلكوا طرق المشركين في طلب البركة، فجعلوا يتمسحون بالمصحف، وبجدران الحرمين، وبمن ظهرت فيه سيما الصلاح، حتى صاروا يتمسحون بأتربتهم بعد موتهم، ويصلون عندها ويدعون ويتعبدون، كلُّ ذلك طلبًا للبركة، لكن من غير وجهها الشرعي.



دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بشكر العطاء

قال المصنف رحمه الله:

(وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ).

الشرح: ________________

❖ قوله: (**وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر**) هذه هي الدعوة الثالثة لقارئ هذه الرسالة أو سامعها، وهي دعوة صالحة طيبة.

والمعطي العطاء المطلق هو الله عز وجل، ولهذا قال النبي ﷺ: «**والله المعطي، وأنا القاسم**»، أخرجه البخاري (٣١١٦) -واللفظ له-، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

وقال ﷺ في أحاديث عدة في الصحيحين: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**».

وقال الله سبحانه ممتنًا على نبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

والعطاء عطاءان: حسي ومعنوي.

فالحسي: كالرجلين، واليدين، وما كان من زوجة، وولد، ومسكن، ومركب، ومال، ونحوه.

والمعنوي: كالإيمان، والعقل، والذكاء، والعلم، والقدرة، والحياة، ونحو ذلك.

فكلُّ هذا العطاء من الله سبحانه وتعالى، ولا يخرج أحد عن عطائه قيد أنملة.

وأما الشكر فَلُغَةً: عرفان الإحسان ونشره، كما في لسان العرب مادة (شكر).

وأصل الشكر: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهورًا بيِّنًا. يقال: شكرت الدابة تشكر شكرًا على وزن سمنت تسمن سمنًا: إذا ظهر عليها أثر العلف، ودابة شكور: إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وتُعطى من العلف.

ولأحمد (٢/ ٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم ودمائهم**»، أي: لتسمن وتمتلئ شحمًا من كثرة ما تأكل منها.

وكذلك حقيقته في العبودية، وهو: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافًا. وعلى قلبه: محبة وشهودًا. وعلى جوارحه: طاعة وانقيادًا.

فالشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهو من هذه الجهة أعم من الحمد، ويكون على النعم فقط، إلا أن الحمد أعم من جهة متعلقاته فإنه على النعم وغيرها، ويكون بالقلب واللسان فقط.

انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٤٦).

والشكر مبني على خمس قواعد:

١- خضوع الشاكر للمشكور.

٢- وحبه له.

٣- واعترافه بنعمته.

٤- وثناؤه عليه بها.

٥- وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عُدِمَ منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة، ولا يتحقق الشكر إلا بها.

وكل من تكلم في الشكر وحدَّه، فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور. اهـ من مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤) للعلامة ابن القيم رحمه الله.

وانظر: التعريفات للجرجاني (ص:١٦٨-١٦٩).

والشكر هو نصف الإيمان؛ لأن الإيمان نصف شكر، ونصف صبر.

وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواصَّ خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسمًا من أسمائه؛ فإنه سبحانه هو الشكور، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكورًا، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده، ودلائل ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كثيرة يطول المقام بذكرها. انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٤٢-٢٤٣).

ومن يشكر الله على نعمائه، وعظيم آلائه، يزده نعمة وخيرًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٣-٣٥]، وفيما ينسب إلى علي رضي الله عنه أنه قال:

إذا كنت في نعمةٍ فارعها ... فإن الذنوب تزيل النعم
وحافظ عليها بتقوى الإله ... فإن الإله سريع النقم

ومن يوفق للشكر على النعم، فليعلم أن شكره يعتبر نعمة من الله عليه فتحتاج أيضًا إلى شكر، ولقد أحسن القائل:

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً ... عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتسع العمر



دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالصبر عند البلاء

قال المصنف رحمه الله:

(وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ).

الشرح:

❖ قوله: (وإذا ابتلي صبر) الابتلاء هو الاختبار والامتحان.

والابتلاء قد يكون بالنعم من صحة وغنى وأمن وذكاء وزوجة وولد.

وقد يكون بالنقم من مرض وفقر وخوف وغباء وعزوبة وعقم.

قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥] إلى غير ذلك من الآيات.

والابتلاء قد يكون بالطاعات وقد يكون بالحسنات، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وهذا على قول في تفسير الآيتين الماضيتين: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وفي صحيح مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أن الله ﷻ قال له: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»، وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

فالعبد إذا ابتلي في نفسه، أو أهله، أو ولده، أو ماله ونحو ذلك بشيء من النقم وجب عليه الصبر وعدم الجزع والاعتراض على أقدار الله.

والعبد إذا ابتلي بالأوامر والنواهي من الكتاب والسنة وجب عليه أيضًا الصبر على القيام بها وعدم التضجر منها.

والصبر لغة: الحبس، يقال: مات فلان صبرًا أي: عن طريق الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وفي الشرع: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه.

وهو شديد على النفس كما قال القائل:

الصبر مثل اسمه مر مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله.

فالأولان: صبر على ما يتعلق بالكسب. والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه، قاله ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٢/ ١٥٦).

ثم ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن صبر يوسف عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه؛ فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس، ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة: فإنه كان شابًّا، وداعية الشباب إليها قوية.

وعزبًا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته.

وغريبًا، والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله.

ومملوكًا، والمملوك أيضًا ليس وازعه كوازع الحر.

والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها. والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار.

ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارًا، وإيثارًا لما عند الله.

وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟. اهـ.

والصبر قد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، وأحبهم، وكان معهم بالنصر والتأييد والمدد، وبه يتحصلون على أعلى الخير، وأحسن الجزاء، والثواب بغير حساب، والشهادة لهم بأنهم أهل العزم، والاعتبار بالآيات والقصص، وأهل الإيمان والعمل الصالح، وأهل الفوز بكل مطلوب، والنجاة من كل مرهوب، وبلوغ الإمامة في الدين.

ودلائل ذلك كثيرة يطول المقام بذكرها، انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٥٣-١٥٥).

ومراتب الصابرين خمسة: صابر، ومصطبر، ومتصبر، وصبور، وصبار.

فالصابر: أعمها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [الزمر:١٠].

والمصطبر: المكتسب الصبر المليء به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:٦٥].

والمتصبر: المتكلف حامل نفسه عليه، ومنه قوله ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»، أخرجه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والصبور: العظيم الصبر، الذي صبره أشد من صبر غيره، ومنه قول حسان في سعد بن معاذ رضي الله عنهما:

لعمرك إن سعد بني معاذ غداة تحملوا لهو الصبور

والصبار: الكثير الصبر. فهذا في القدر والكم، والذي قبله في الوصف والكيف، ومنه قوله تعالى في أربعة مواضع: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥]، و[لقمان:٣١]، و[سبأ:١٩]، و[الشورى:٣٣]. انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٥٨).

فإن قيل: لماذا جمع المصنف بين هذين المقامين العظيمين -الشكر والصبر-؟.

قلنا: لأن الله عز وجل جمع بينهما في قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥].

ولأن النبي ﷺ جمع بينهما بقوله: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له**»، أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

وفي صحيح البخاري (٥٦٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُصِبْ منه**».

قال العلامة ابن القيم رحمه الله **في مدارج السالكين** (١/ ١٣٧): ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا وهو يتضمن الصبر من غير عكس، ويتضمن التوكل والإنابة والحب والإخبات والخشوع والرجاء، فجميع المقامات مندرجة فيه، لا يستحق صاحبه اسمه على الإطلاق إلا باستجماع المقامات له، ولهذا كان الإيمان نصفين: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكرًا، والشاكرون هم أقل العباد، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. اهـ.

فظهر مما تقدم: أن هاتين الدعوتين دعوتان عظيمتان، من نالهما فقد نال الخير كله.



دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالاستغفار من الذنب

قال المصنف رحمه الله:

﴿وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ﴾.

الشرح: ــــــــــــــــــــــــ

❖ قوله: ﴿وإذا أذنب استغفر﴾ هذه هي الدعوة الخامسة من المصنف لقارئ هذه الرسالة وسامعها، وهي دعوة طيبة نافعة.

ومعنى قوله: ﴿أذنب﴾ أي صار متحملًا ذنبًا، والذنب هو الإثم والمعصية والجرم، وجمعه ذنوب بضم أوله، وجمع الجمع: ذنوبات. انظر: لسان العرب، والمصباح المنير مادة ﴿ذنب﴾.

❖ وقوله: ﴿استغفر﴾ أي: طلب المغفرة؛ لأن الألف والسين والتاء تدل على الطلب.

والاستغفار بأن يقول: استغفر الله، أو اللهم اغفر لي.

وأصل المغفرة: التغطية والستر، والتجاوز.

فيكون معنى عبارة المصنف: وأن يجعلك ممن إذا تحمل إثمًا طلب مباشرة ستر الله وتجاوزه.

وإن هذه العبادة هي شأن العبد المؤمن المتقي؛ فإنه كلما صدر منه ذنب بادر بالتوبة والاستغفار من غير تمادٍ ولا إصرار، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:١٧]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: «**أذنب عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**»، رواه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**»، أخرجه مسلم (٢٧٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وله (٢٧٤٨) نحوه عن أبي أيوب رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**»، طرف من حديث أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى يعلو قلبَه ذاك الران الذي ذكر الله ﷻ في القرآن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: ١٤]»، أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٥١)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه بسند حسن.

وفي أسماء الله الحسنى: غافر الذنب، والغفور، والغفار، كما قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر:١-٣]، وقال سبحانه في موضعين: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، و[الأحقاف:٨]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤]، وقال:

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ:٢]، وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩]، وقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦]، وقال: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر:٥]، وقال: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر:٤٢].

ورُبَّ عبد يذنب ذنبًا فيستغفر ربه ويتوب إليه حتى يفتح عليه من طاعته ويرفع درجته، كما قال تعالى في أبينا آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:١٢١- ١٢٢] فلم يكن الاجتباء إلا بعد الذنب والتوبة منه.

وكان للنبي ﷺ دعوات كثيرات في طلب مغفرة الله له، بأساليب مختلفة، وألفاظ متنوعة، منها:

١- «**اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير**»، رواه البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩) عن أبي موسى رضي الله عنه.

٢- «**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق**»، أخرجه البخاري (٤٤٤٠) ومسلم (٢٤٤٤) عن عائشة رضي الله عنها أنه قاله قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها.

٣- «**اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره**»، أخرجه مسلم (٤٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد ذكر الله سبحانه حال أنبيائه عليهم السلام مع هذه العبادة الجليلة، وأنهم أمروا أقوامهم بها، مما يبين لك عظيم منزلتها، وكبير شأنها، وجليل قدرها، ولا يتركها إلا مغرور لم يعرف قدر ربه وعظمته، ولا قدر نفسه وخسته.

وإن نبينا ﷺ كان يتوب إلى الله ويستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٦٣٠٧)، بل مائة مرة كما في حديث الأغر بن يسار رضي الله عنه عند

مسلم (٢٧٠٢)، بل كان يُعد له ذلك مائة مرة في المجلس الواحد، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند أحمد (٢/ ٢١)، وأبي داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٩٢)، وابن ماجه (٣٨١٤)، بسند صحيح.

❖ قوله: (**فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة**) أي: فإن الشكر عند العطاء، والصبر عند البلاء، والاستغفار بعد الذنب -هذه الأعمال العظيمة الثلاثة- يُستدل بها على سعادة المرء، وأن من نالها فقد وُفق، ومن حُرِمَهَا أو حُرِمَ بعضها فإنه شقي بقدر حرمانه منها.

وخَصَّ هذه الثلاث بالذكر دون غيرها؛ لأن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث لا ينفك عنها.

❖ وقوله: (**عنوان**) بضم العين ويجوز كسرها، وعنوان كل شيء ما يستدل به عليه ويظهره. انظر: لسان العرب والمصباح المنير مادة (عنن).

ومن ذلك: إذا أَلَّفَ الشخص كتابًا ولم يجعل له عنوانًا لم يهتدِ القارئ إلى مضمونه، فإذا جعل له عنوانًا اهتدى إلى مضمونه.

ومعنى عبارة المصنف: أن العبد إذا كان عند العطاء شاكرًا، وعند البلاء صابرًا، وبعد الذنب مستغفرًا، فإن هذه الخصال الثلاث تدل على سعادته ونجاحه، وتشير إلى فوزه وفلاحه؛ لأن مشاهدة المنة واستحضارها يورث الحب الكامل لله عز وجل، وبحبس النفس واللسان والجوارح عند المحنة يقلبها منحة، ويجعل البلية عطية، وبمطالعة عيب النفس والعمل يتحصل على الذل التام لله جلَّ جلاله.

وكلام المصنف مقتبس من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب (ص١١).

دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالرشد في الدين

قال المصنف رحمه الله:

(اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ).

الشرح: ______

❖ قوله: (اعلم) هذه الكلمة يؤتى بها لتنبيه السامع أو القارئ لما سيلقى عليه، ومن ذلك قول الله سبحانه: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد:١٧]، وقوله:﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد:٢٠]، وقوله ﷺ: «**واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»، أخرجه البخاري (٢٨١٨) ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، وقوله: «**سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يُدْخِل أحدَكم عملُه الجنةَ، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»، أخرجه البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقوله ﷺ: «**أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله**»، الحديث أخرجه البخاري (٣١٦٧) ومسلم (١٧٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولهذا نظائر كثيرة.

❖ قوله: (**أرشدك**) أي: هداك ووفقك وألهمك ودلَّك إلى ما ينفعك في دينك ودنياك وأخراك.

وفي أسماء الله تعالى: الرّشيد -على قولٍ لأهل العلم-؛ لأنّه يرشد الخلق إلى مصالحهم، أي: يهديهم ويدلّهم عليها، فهو فعيل بمعنى مفعل.

وقيل: هو الّذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السّداد من غير إشارة مشير، ولا تسديد مسدّد، أي: أنّه فعيل بمعنى فاعل، انظر: لسان العرب مادة (رشد).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله **في نونيته:**

وهـــو الرشـــيد فقولـــه وفعالـــه رشـــد، وربـــك مرشـــد الحـــيران

وكلاهمـــا حـــق فهـــذا وصـــفه والفعـــل للإرشـــاد ذاك الثـــاني

وقال العلامة السعدي رحمه الله **في شرحه لهذا الاسم الكريم**: يعني أنَّ الرشيد هو الذي قوله رُشد، وفعله كله رُشد، وهو مُرشد الحيران الضال، فيهديه إلى الصراط المستقيم بيانًا وتعليمًا وتوفيقًا.

فالرُّشد الدال عليه اسمه الرشيد وصفه تعالى، والإرشاد لعباده فعله.اهـ.

والرشد: هو الاستقامة على طريق الحق والتوحيد والسنة وكل خير، وضده الغي والضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **كما في مجموع الفتاوى** (١٠/ ٥٦٩) مستدلًا بأن ضد الغي الرشد: قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦].

والرشد: العمل الذي ينفع صاحبه. **والغي**: العمل الذي يضر صاحبه.

فعمل الخير رشد، وعمل الشر غيٌّ؛ ولهذا قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠]، فقابلوا بين الشر وبين الرشد، وقال في آخر السورة: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١]، ومنه: الرشيد الذي يُسلم إليه ماله، وهو الذي يصرف ماله فيما ينفع لا فيما يضر. اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله **في إغاثة اللهفان** (٢/ ١٦٨): الرشد هو العلم بما ينفع، والعمل به.

والرشد والهدى إذا أفرد كل منها تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما:

فالهدى هو: العلم بالحق. والرشد هو: العمل به. وضدهما: الغَي واتباع الهوى.

وقد يقابل الرشد بالضر والشر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وقال مؤمنو الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

فالرشد يقابل الغي، كما في قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ويقابل الضر والشر كما تقدم، وذلك لأن الغي سبب حصول الشر والضر ووقوعها بصاحبه. اهـ.

وقال في مفتاح دار السعادة (١/ ٣٨): والرشد هُوَ الْهدى والفلاح. اهـ.

وأرفع الرشد وأعلا درجاته هو توحيد الله سبحانه، والكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤].

مقومات الرشد:

١ و٢- حب الإيمان، وكراهية الكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

٣ و٤ و٥- الإيمان بالله، والاستجابة لأمره، ودعاء الله أيضًا؛ لأن الرشد بيد الله، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، فالرشد يطلب من الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

ولأحمد (٤/ ٢١) بسند صحيح عن عثمان بن أبي العاص وامرأة من قيس رضي الله عنهما أنهما سمعا النبي ﷺ، قال أحدهما: سمعته يقول: «**اللهم اغفر لي ذنبي، وخطئي، وعمدي**». وقال الآخر: سمعته يقول: «**اللهم أستهديك لأرشد أمري، وأعوذ بك من شر نفسي**».

وللنسائي في الكبرى (١٠٨٣١) بسند صحيح عن عمران بن حصين عن أبيه رضي الله عنهما أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، عبد المطلب خير لقومك منك، كان يطعمهم بالكبد والسنام وأنت تنحرهم، قال: فقال له ما شاء الله، فلما أراد أن ينصرف قال: ما أقول؟ قال: «**قل: اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على رشد أمري**»، فانطلق ولم يكن أسلم، ثم إنه أسلم فقال: يا رسول الله إني كنت أتيتك فقلت: علمني، فقلت: «**قل: اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على رشد أمري**»، فما أقول الآن حين أسلمت؟ قال: «**قل: اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على رشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وما أخطأت وما عمدت، وما علمت وما جهلت**».

ولأحمد (٢/ ٤١٩)، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، فأرشد الله الأئمة، وغفر للمؤذنين**» وهو حديث صحيح بشواهده.

٦- تلاوة القرآن وسماعه، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١- ٢].

٧- طاعة الله ورسوله ﷺ، ففي مسلم (٨٧٠) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن رجلًا خطب

عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى**».

٨- السير على منهاج سلف الأمة، قال النبي ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**»، الحديث.

وموانع الرشد:

١و٢ و٣- الكبر والتكذيب والغفلة، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ولما كان الرشاد من خصال الكمال ادعاها فرعون فقال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].



دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالرشد لطاعة الله

قال المصنف رحمه الله:

(لِطَاعَتِهِ).

الشرح: ___

❖ قوله: (**لطاعته**) الطاء والواو والعين يدلُّ على الإصحابِ والانقياد.

والطاعة هي: الانقياد للأمر، والموافقة له من غير مخالفة، يقال: أطاع زيدٌ عمرًا إذا انقاد لـه، ولا تكون الطاعة إلا عن أمر.

انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ١٤٢)، ولسان العرب، ومقاييس اللغة، والمصباح المنير مـادة (طوع).

وقوله: (**لطاعته**) أي: أرشدك الله للانقياد له، والاتباع لأوامره، والاجتناب والابتعاد عـن نواهيه؛ لما في طاعته من المنافع الدنيوية والأخروية، ولو أردنا سرد منافعهـا باسـتيعاب لطـال المقام، لكن لا بأس أن نشير إلى شيء من ذلك.

منافع طاعة الله عز وجل:

١- الرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

٢- دليل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

٣- الفوز، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

٤- الفلاح، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن

يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

٥- دخول الجنة، قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

٦- مرافقة الذين أنعم الله عليهم، قال عز من قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

٧- الرشد، كما سبق في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

ولا تتم طاعة الله إلا بطاعة رسوله ﷺ، قال جلَّ ثناؤه: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ويُستفاد من قول المصنف رحمه الله: **(اعلم أرشدك الله لطاعته)** التلطف والشفقة والرحمة بالمخاطَب، وترغيب الطالب إلى ما يدعوه إليه من الحق والهدى؛ فإن إشعار الشيخ لطالبه بذلك يدعوه إلى محبته، وقبول أمره ونهيه، والأخذ بتوجيهه وإرشاده.

بخلاف إذا استخدم الألفاظ الغليظة، والمنطق الشديد، والقول الجارح، فإنه يدعوه إلى كراهيته، ورد أمره ونهيه، وإهمال توجيهه وإرشاده، بل والتنفير منه ومجالسه.



تعريف الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام

قال المصنف رحمه الله:

(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ).

الشرح:

❖ قوله: (الحنيفية) مأخوذ من الحنيف وهو المائل.

قال ابن جرير: وأما الحنيف فإنه المستقيم من كل شيء.

وقد قيل: إن الرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له أحنف، نظرًا له إلى السلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد: المفازة، بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة، وكما قيل للديغ: السليم، تفاؤلًا له بالسلامة من الهلاك، وما أشبه ذلك. اهـ.

والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام، انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٤٥١).

والحنيف في الشرع: هو المائل عن الشرك إلى التوحيد، المستقيم على دين الله، المخلص له فيه، المستمسك به، المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه، انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٧٠).

وقد قيل: الحنيف هو الحاج، روي عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن.

وقيل: المتبع، ثبت عن مجاهد.

وقيل: إبراهيم؛ لأنه أول من سن الاختتان، ذكره ابن جرير.

وقيل: المخلص، روي عن السدي.

وقيل: الإسلام، ذكره ابن جرير.

قال ابن جرير مرجحًا معنى الحنيف: هو الاستقامة على دين إبراهيم، واتباعه على ملته.

❖ قوله: (ملة) أي: دين وشريعة، وهي الطريقة التي يسار عليها تدينًا وتعبدًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقول شعيب عليه السلام: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقيل: هي معظم الدين، وجملة ما يجيء به الرسل، انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٦٠).

وملة إبراهيم عليه السلام أُمِر النبي ﷺ وأمتُه باتباعها وانتهاجها، والسير عليها؛ لأنها أحسن الدين، وفيها الهداية للطريق المستبين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وملة إبراهيم عليه السلام من كان يأباها ويرفضها فإنه يعتبر سفيهًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

❖ قوله: (إبراهيم)، إبراهيم باللغة السريانية معناها: أب رحيم، قاله العلامة ابن القيم في جلاء الأفهام (٢٦٧)، وذكره القرطبي في تفسيره (٢/ ٩٦) عن الماوردي.

من خصائص إبراهيم عليه السلام:

١- اتخذه الله خليلًا لكونه دعا إلى التوحيد مع تنكر أقرب الناس إليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

٢- أبو الأنبياء؛ لأن عقبه أنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

٣- جعله الله إمامًا للناس، كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤].

٤- جعله الله قدوة للناس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣].

٥- جعله الله أمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠].

وملة إبراهيم كما بينه المصنف: (**أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين**) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].



الحنيفية هي عبادة الله وحده مخلصًا له الدين

قال المصنف رحمه الله:

(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ) .

الشرح: ________________________________

❖ قوله: (**أن تعبد الله**) **العبادة لغة**: الذل، والتعبد: التذلل والخضوع، ومنه قول العرب: طريق مُعَبَّد أي: مُذَلَّل، انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٧) .

وفي الشرع: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩) .

والعبادة لا تقوم إلا على غاية الذل والخضوع لله عز وجل مع كمال المحبة والتعظيم.

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ٤٧) : والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع. اهـ.

وقال في نونيته:

وعبادةُ الرحمن غايةُ حبِّهِ ... مع ذلِّ عابدِه هما قُطْبانِ

وعليهما فَلَكُ العبادةِ دائرٌ ... ما دار حتى قامتِ القُطْبانِ

وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٢) .

والعبودية لله شرف للعابد، وقد أثنى الله على نبيه ﷺ بعبوديته لربه في مواضع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٢) : وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] ، وقال في الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠] ، وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ

﴿يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن:١٩]، وقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣]. اهـ.

وكذا أثنى الله على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بتحقيقهم مقام العبودية، فقال تعالى في نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر:٩].

وقال في نوح، وإبراهيم، وإلياس: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:٨١ و١١١ و١٣٢].

وقال في نوح ولوط: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ [التحريم:١٠].

وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص:٤٥].

وقال في يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

وقال في موسى وهارون: ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:١٢٢].

وقال في داود: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص:١٧].

وقال في أيوب: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [ص:٤١].

وقال في الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف:٦٥].

واعلم بأن عبودية الناس لله على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبوديةٌ عامة، وهي: عبودية الربوبية التي لا يستطيع أحد من الجن أو الإنس أن يخرج عنها، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣].

القسم الثاني: عبوديةٌ خاصة، وهي عبودية الطاعة العامة، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:٦٣]، وهذه تعم كل من تعبَّد لله بشرعه.

القسم الثالث: عبوديةُ خاصةِ الخاصة، وهي عبودية الرسل عليهم الصلاة والسلام، والتي لا يشاركهم أو يساميهم فيها أحد، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢]، وقد سبق ذكر ذلك مفصلًا بأسماء الأنبياء قريبًا.

❖ قوله: (وحده) تأكيد لإفراد العبادة لله سبحانه.

والتوحيد: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا، إذا أفرده وجعله واحدًا.

وشرعًا: هو إفراد الله بما يختص به من ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات.

وقد ورد في القرآن والسنة تسمية إخلاص العبادة لله توحيدًا، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:٧٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر:١٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ [غافر:٨٤].

وأما من السنة: فما رواه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إنك تقدم على قوم أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله** عز وجل».

وفي رواية للبخاري (٧٣٧٢): «**أن يوحدوا الله**»، فسمى العبادة توحيدًا.

وفي البخاري (٨) ومسلم (١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله**»، الحديث.

وفي رواية لمسلم: «**بني الإسلام على خمسة: على أن يُوحد الله**».

وفي رواية له أيضًا: «**بني الإسلام على خمس: على أن يُعبد الله، ويُكفر بما دونه**».

وفي مسلم (٢٣) عن طارق بن أشيم رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُم مالُه ودمُه، وحسابه على الله**».

وفي رواية له: «**من وَحَّدَ الله**».

❖ قوله: (**مخلصًا له الدين**) أي: أن تجعل عبادتك لله خالصة صافية نقية من الشرك، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]، وقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء: ١٢٥]، إسلام الوجه هو: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته.

والإخلاص لغة: تنقيةُ الشَّيء وتهذيبُه. يقولون: خلَّصتُه من كذا وخَلَصَ هو.

انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٠٨).

والإخلاص شرعًا -عرفه العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ٥٢٧) بقوله-: قصد المعبود وحده بالتعبد. اهـ.

وقد تنوعت عبارات أهل العلم في الإخلاص والصدق، والقصد واحد.

فقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.

وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل: تصفية العمل من كل شوب.

وقيل: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك. والصدق التوقي من مطالعة النفس. فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له. ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص. ولا يتمان إلا بالصبر.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء: أن يكون ظاهره خيرا من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

ومن كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس: رياء. والعمل من أجل الناس: شرك. والإخلاص: أن يعافيك الله منهما.

وقال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدًا غير الله، ولا مجازيًا سواه.

انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص:٥١-٥٥)، والمدارج (٢/ ٩١-٩٢).

❖ قوله: (الدين) هو كل ما يُدان الله به من العبادات الظاهرة والباطنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٢): والدين يتضمن معنى الخضوع والذل. يقال: دنته فدان أي: ذللته فذل. ويقال: يدين الله، ويدين لله، أي: يعبد الله ويطيعه، ويخضع له، فدين الله عبادته، وطاعته، والخضوع له. اهـ.

ومراتب الدين ثلاثة كما في حديث جبريل عليه السلام الطويل المشهور، الذي أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩-١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم أيضًا (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي فيه أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ذهب، قال: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم».

فتلخص: أن الحنيفية هي ملة إبراهيم، وهي التدين بعبادة الله وحده، والبراءة من الشرك كله.

دليل وجوب عبادة الله وحده لا شريك له

قال المصنف رحمه الله:

(وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، [كَمَا][٤] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]).

الشرح: ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

❖ قوله: (**وبذلك أمر الله جميع الناس**) أي: بإخلاص الدين له سبحانه، وعبادته وحده لا شريك له، كما تقدمت دلائل ذلك.

ونضيف هنا: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وسنذكر قريبًا في تفسير الآية التي أوردها المصنف رحمه الله ما يتعلق بالعبادة لغة وشرعًا، وأقسام العبادة، وأحوال الناس فيها مع دلائلها.

❖ قوله: (**وخلقهم لها**) أي: ما خلقهم للأكل والشرب، واللهو واللعب، وإنما خلقهم لتحقيق العبودية له سبحانه، فيسعدوا في الدارين الدنيا والأخرى، أما من تخلف عنها، وعن تحقيقها، فيشقى شقاء أبديًّا لا سعادة فيه أبدًا.

❖ قوله: (**كما قال تعالى**) أي: مثل ما قال تعالى.

---

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من الدرر السنية (٢/ ٢٣).

❖ قوله: ﴿وَمَا﴾ نافية.

❖ قوله: ﴿خَلَقْتُ﴾ الخلق هو إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.

وأصل الخلق: التقدير، وهذا باعتبار تقدير ما منه وجودها، وهو خالق باعتبار الإيجاد على وفق التقدير، انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٧٠).

وفي أسماء الله ﷻ الحسنى: الخالق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤]، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة.

وهو متضمن لصفة: الخلق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وفي أسماء الله ﷻ أيضًا: الخلاق، وهو صيغة مبالغة، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، وقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

وليعلم: أن اسم الخالق والخلاق اسمان كريمان أزليان أبديان لله، لم يتسمَّ بهما بعد أن خلق.

قال الطحاوي: ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته. وكما كان بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا، ليس بعد خلق الخالق استفاد اسم «**الخالق**»، ولا بإحداث البرية استفاد اسم «**الباري**»، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم؛ ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير. اهـ المراد من عقيدته.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقوله: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات:١٢٥] هل يفهم منه أن غير الله يخلق؟.

قلنا: سُمُّوا خالقين؛ لأن الخلق يطلق على الإيجاد من العدم وهذا خاص بالله ﷻ، وادعاؤه شرك أكبر.

ويطلق الخلق على تحويل الشيء من حال إلى حال، وهذا هو المقصود من قوله: ﴿ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، وهو تخليق محصور بما يستطيعه المخلوق، ليس عامًا في كل ما أراد تحويله.

❖ وقوله: ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ هم عالم غيبي مخفي عنا، لا نراه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف:٢٧]، ومادة الجيم والنون يدلان على الخفاء والاستتار ومنه: الجَنة، والجِنة، والجُنَّة، والأجنة.

والجن خُلِقت من نار كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ [الرحمن:١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧].

وفي صحيح مسلم (٢٩٩٦) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**».

والجن منهم المسلمون ومنهم المشركون، وفيهم البر وفيهم الفاجر قالت الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾ [الجن:١١]، وقالت: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن:١٤-١٥].

❖ وقوله: ﴿وَٱلۡإِنسَ﴾ سموا بذلك؛ لأنهم يأنس بعضهم ببعض، ويتحرك بعضهم إلى بعض.

فإن قيل: لماذا قدَّم الله الجن على الإنس في هذه الآية؟.

قلنا: لأنهم خلقوا قبلهم، كما مضى في قوله: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، والآيات في خلق آدم عليه السلام بينة في أن الجن خُلقت قبله.

❖ وقوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليتبعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه، وأعظم ما أمر الله به: التوحيد. وأعظم ما نهى الله عنه: الشرك.

ولذلك قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إنك تقدم على قوم أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل**»، أخرجه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩)، وفي رواية للبخاري (٧٣٧٢): «**أن يوحدوا الله**».

وأول أمر في كتاب الله عز وجل كان بعبادة الله سبحانه، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

هذه الآية التي أوردها المصنف رحمه الله فيها بيان الحكمة التي خُلق من أجلها الإنس والجن وهي: أن يعبدوا الله مخلصين له الدين؛ لأن الله هو الذي خلقهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهذه هي دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام، يدعون إلى توحيد العبادة لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، ولو أردنا ذكر ذلك مفصلًا عن الأنبياء عليهم السلام واحدًا واحدًا لطال المقام.

وأمر الله نبيه ﷺ أن يُظهر عبوديته لله ﷻ ، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

وعبادة الله وحده لا شريك له بها النجاة من النار، والفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقد تقدم معنى العبادة لغة وشرعًا، وأركانها، وأقسام الناس فيها، وأهميتها.

والحاصل من معنى الآية:

أن الله سبحانه وتعالى يخبر أنه ما خلق الثقلين إلا لتحقيق عبوديته طوعًا وكرهًا فيسعدوا سعادة أبدية، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والسدي.

وقيل: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، لا لاحتياجي لهم، روي عن علي رضي الله عنه ، ويؤيده قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾

[التوبة:٣١].

وقيل: ما خلق السعداء إلا لعبادته، والأشقياء إلا لمعصيته، روي عن زيد بن أسلم وسفيان.

وقيل: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، روي الكلبي والضحاك وسفيان، يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ثم قال في أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف:٧٩].

وقيل: إلا ليعرفوني، روي عن مجاهد وابن جريج، قال البغوي: وهذا أحسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقيل: إلا ليخضعوا إليَّ ويتذللوا، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه.

وقيل: إلا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

والقول الأول والثاني أظهر، وإن كان غيرها صوابًا؛ لأدلة أخرى.

انظر: تفسير ابن جرير، والبغوي، وابن كثير.



الفروق بين العلم والمعرفة

قال المصنف رحمه الله:

(فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ).

الشرح: ـــــــــــــــــــــــــــــ

❖ قوله: (**فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته**) هذا خطاب من المصنف لقارئ الرسالة وسامعها.

ومعرفة أن الله ﷻ خلقنا لعبادته ظاهر من هذه الآية التي استدل بها المصنف: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

والمعنى: أن الله لم يخلقك عبثًا، ولم يخلقك لتأكل وتشرب، وتلهو وتلعب، بل لم يخلقك إلا لعبادته وحده لا شريك له.

والمعرفة أخص من العلم، فكل عارف عالم من غير عكس.

والمعرفة والعلم بينهما فرق لفظي ومعنوي:

أما اللفظي: فإن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد، تقول: عرفت الدار، وعرفت زيدًا، قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].

وفعل العلم يقتضي مفعولين، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وإن وقع على مفعول واحد، كان بمعنى المعرفة، كقوله: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] أي: لا تعرفونهم الله يعرفهم.

ومثل: عرفت أن العبادة لله، وعلمت أن العبادة لله.

وأما من جهة المعنى فمن وجوه:

منها: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله، فتقول: عرفت أباك، وعلمته صالحًا عالـمًا، ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة، كقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. فالمعرفة: حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس، والعلم: حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفة: تشبه التصور، والعلم: يشبه التصديق.

ومنها: أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه.

أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وأدرك أنه الموصوف بها، قيل: عرفه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] لما كانت صفاته معلومة عندهم، فرأوه: عرفوه بتلك الصفات، فالمعرفة: تشبه الذكر للشيء، وهو حضور ما كان غائبًا عن الذكر، ولهذا كان ضد المعرفة الإنكار، وضد العلم الجهل، قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

ومنها: أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، وهذا يرجع إلى تخليص الذات من غيرها، وتخليص صفاتها من صفات غيرها.

ومنها: أنك إذا قلت علمت الله، فإنها تحتاج إلى مميز، بأن تقول: معبودًا بحق.

وإذا قلت: عرفت الله، فقد أفادت، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: « **فإذا عرفوا الله**»، أخرجه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩).

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن: أن المعرفة عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالما بالله.

وانظر في بيان فروقها: كتاب الفروق للعسكري (ص:٥٠٠-٥٠٢)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٣٥-٣٣٨).

والمعرفة امتنع بعض السلف كالزهري من وَصْفِ الله بها؛ لأنها تكون عن دليل وأثر، وتمييز.

قال الجرجاني في كتابه التعريفات (ص:٢٨٣): المعرفة: ما وضع ليدل على شيء بعينه، وهي المضمرات، والأعلام، والمبهمات، وما عرف باللام، والمضاف إلى أحدهما.

والمعرفة أيضًا: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى: بالعالم، دون العارف.

وأجازها آخرون مستدلين بحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «**تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة**»، وهو حديث حسن بشواهده كما بينته في كتابي «الأربعون النووية في ثوب جديد محلى بالأسانيد»، فدل على جواز وصف الله به.



لا عبادة مقبولة إلا بالتوحيد

قال المصنف رحمه الله:

(فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيْدِ).

الشرح: ـــــــــــــــــــــــــــــ

❖ قوله: (**فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد**) هذا تمهيد من المصنف للدخول في المقصود، فهو يبين أن العبادةَ المأمورَ بها، والمرغبَ فيها، والمقبولةَ عند الله، لا تسمى عبادة إلا إذا كانت مع التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله وحده، وإلا فخضوع المشركين وذلهم لغير الله سماه الله عبادة، لكنها باطلة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ [هود:١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٩]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

وأمر الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ أن يقول للكافرين: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر:٦٤]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦].

وقوله: (**التوحيد**) هو: مصدر وَحَّدَ يوحد توحيدًا، إذا جعله واحدًا، هذا لغة.

وشرعًا: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

فهو ثلاثة أنواع دل عليها قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، وهكذا سورة الفاتحة.

وقد اعتنى العلماء -قديمًا وحديثًا- بالتصنيف في القسمين -الثاني والثالث- لكثرة المشبهين والملبسين فيه.

ومراد المصنف من التوحيد هنا: هو القسم الثاني توحيد الألوهية، وهو على درجات:

الدرجة الأولى: أصل التوحيد، والذي ينافيه الشرك الأكبر.

الدرجة الثانية: كمال التوحيد الواجب، والذي ينافيه الشرك الأصغر، والمعاصي والبدع غير المكفرة.

الدرجة الثالثة: كمال التوحيد المستحب، والذي ينافيه ترك المستحبات وفعل المكروهات.

وبمعرفة ذلك يتبين دخول التوحيد في جميع شؤون العبد، وبه يعرف تقصيره وتفريطه.

فمن تعاطى الشرك الأصغر أو المعاصي دل هذا على ضعف توحيده ونقصانه.

ومن تعاطى الشرك الأكبر دل هذا على زوال توحيده وذهابه.

❖ قوله: (**فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد**) فهذا فيه: أن العبادة لا تكون صحيحة يرضاها الله سبحانه إلا إذا قامت على التوحيد.

واعلم: أن العبادة لا تكون عبادة صحيحة إلا إذا قامت على الكتاب والسنة.

ولا تكون قائمة على الكتاب والسنة إلا بشرطين، إن اختل شرط من الشرطين بطل العمل:

الشرط الأول: أن تكون خالصة لوجه الله ليس فيها شرك، فإذا خالطها شرك بطلت.

الشرط الثاني: المتابعة لرسول ﷺ متابعة صادقة، ظاهرًا وباطنًا.

فإن قيل: ما الدليل على هذين الشرطين؟.

قلنا: قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩].

فأي عبادة في الظاهر ليست خالصة لوجه الله فهي باطلة مردودة، ولو كانت موافقة لهدي رسول الله ﷺ، قال ﷺ كما في الصحيحين: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى**».

كما أنه أي عبادة لم يأتِ بها الرسول ﷺ -ولو كانت خالصة لله- فإنها باطلة مردودة؛ لأنها بدعة ومحدثة، قال ﷺ كما في الصحيحين عن عائشة ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، إذ ليس هناك أحد من الخلق يجب علينا اتباعه إلا محمدًا رسولَ الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]، بل بيَّن سبحانه أن طاعة رسوله ﷺ طاعةٌ له سبحانه، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].



الشرك مفسد للعبادة، كالحدث مفسد للطهارة

قال المصنف رحمه الله:

(كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا [مَعَ] الطَّهَارَةِ،[٥] فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [التوبة: ١٧]).

الشرح:

❖ قوله: (**كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة**) أي: أن العبادة لا تسمى عبادة محبوبة مطلوبة يثاب عليها صاحبها إلا بالتوحيد وإخلاص الدين لله، وهذا مثل الصلاة، فإنها لا تسمى صلاة شرعية مقبولة إلا بالطهارة، فالتوحيد شرط في العبادة، مثل: الطهارة شرط في الصلاة، كما في البخاري (٦٩٥٤) ومسلم (٢٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**»، ولقوله ﷺ كما في مسلم (٢٢٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**لا صلاة بغير طهور**»، فلا تصح الصلاة إلا بوضوء.

ومَثَّل المصنف بهذا؛ لأن فقهاء زمانه يقرون بأن الصلاة لا تصح إلا بطهارة، ولا ينكرون على من يُظهر الزهادة والعبادة وهو يتعلق بالقبور والأضرحة.

---

(٥) ما بين المعقوفتين من الدرر السنية (٢/ ٢٣)، والذي في المخطوط: (إلا بالطهارة).

والطهارة لغة: النزاهة والنظافة.

وشرعًا على قسمين: حسي ومعنوي.

فأما الحسي: فرفع الحدث، وزوال الخبث، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وأما المعنوي: فنظافة القلب، ونقاوة اللسان، وصفاء الجوارح من أدران الشرك، والبدع، والمعاصي، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

❖ قوله: **(فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت)** أي: إذا فعل شيئًا من أنواع الشرك: كأن يدعو الأموات، أو يستغيث بهم، أو يتوكل عليهم، أو يذبح لهم من دون الله ونحو ذلك، بطلت عبادته، بل وبطل إسلامه فلا يصح منه شيء.

❖ **ثم مَثَّل لذلك فقال** رحمه الله: **(كالحدث إذا دخل في الطهارة)** أي: كمن يتوضأ ثم أتى بناقض من نواقض الوضوء من غائط أو بول أو ريح وغيرها بطلت طهارته.

والشرك لغة: مأخوذ من الشركة والمشاركة، يقال: شركته في الأمر أشركه شركة، والاسم الشرك. وشاركته إذا صرت شريكه، انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٦٦).

وفي الشرع على قسمين: أكبر وأصغر.

فالأكبر: هو أن تجعل لله ندًّا في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

أو هو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

والأصغر: هو كل عمل أو قول نهى عنه الشارع، وجاء تسميته بأنه شرك.

انظر: القول السديد للعلامة السعدي رحمه الله (ص:٥٤)، وفتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٨).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين (١/ ٣٤٧): والشرك أنواع كثيرة لا يحصيها إلا الله، ولو ذهبنا نذكر أنواعه لاتسع الكلام أعظم اتساع، ولعل الله أن يساعد بوضع كتاب فيه، وفي أقسامه، وأسبابه، ومباديه، ومضرته، وما يندفع به. اهـ.

❖ وقوله: (**فسدت**) الفساد ضد الصلاح.

والعبادة الفاسدة هي التي لا تبرأ بها الذمة، ولا يترتب عليها ثواب.

وهل يريد المصنف بالشرك هنا الأكبر أو الأصغر؟ سيأتي بيانه في الفقرة الآتية -إن شاء الله-.

ثم ذكر المصنف رحمه الله الدليل على ما أوضحه من عدم صحة العبادة بلا توحيد، وهو:

❖ قوله: (**كما قال تعالى**) الكاف للتشبيه بمعنى: مثل، ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

﴿مَا كَانَ﴾ أي: ما ينبغي ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أشركوا في عبادة الله إلهًا آخر، مع كونهم يعترفون بربوبية الله سبحانه ﴿أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ أي: أن يقوموا بعمارة مساجد الله -حسًّا ببنائها، أو معنى بالمكوث فيها- التي ما شُرع تعميرها، والقيام بها إلا لعبادة الله فيها، لا للكفر به، حيث نصبوا حول البيت الأصنام التي يعبدونها من دونه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ أي: معترفون بكفرهم وجحودهم في قرارة أنفسهم، لكن حجبهم من إظهاره الكبر والعناد.

وقيل: بل يعترفون بألسنتهم إذا سئلوا، روي عن السدي.

وقيل: بل بسجودهم لأصنامهم دون الله، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: بل ألسنتهم تلهج بالكفر في دعائهم لآلهتهم، روي عن الحسن.

وقيل: شاهدين على رسولهم بالكفر؛ لأنه ما من بطن إلا ولدته، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والأقرب: أنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، بقلوبهم وأقوالهم وأفعالهم الشركية التي تنافي تمامًا عبودية الله تعالى.

فمن كان بالله كافرًا، فليس من شأنه أن يعمُرَ مساجد الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي: بطلت وذهبت أجورها بسبب شركهم ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ أي: ماكثون فيها أبدًا لا يخرجون منها، لا أحياء فيها ولا أمواتًا.

والشاهد من الآية: قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، وهو دليل في غاية الظهور.

انظر: تفسير ابن جرير، والبغوي، وابن كثير.



الدلائل على أهمية معرفة الشرك

قال المصنف رحمه الله:

(فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِيْنَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ [الَّذِيْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيْهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾] [النساء:٤٨]).[٦]

الشرح: ______________________________

❖ قوله: (**فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها**) الخ معناه: إذا كنت قد عرفت التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، والذي به فوزك بالجنة، ونجاتك من الخلود في النار، يجب عليك أن تعرف ما هو الشرك؟ لأن الذي لا يعرف الشيء يقع فيه، جاء في البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧) عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني».

وقال أبو فراس الحمداني:

عرفت الشر لا للشـ ... ـر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه

---

(٦) ما بين المعقوفتين من كتاب مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٩٩).

والشرك قد حذرنا الله منه في كثير من الآيات فوجب علينا أن نعرفه لنحذره؛ لأن الله سبحانه وتعالى ورسوله بيَّنا أن للشرك أضرارًا:

١- أن عمل المشرك لا يغفر إلا بالتوبة فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

٢- أن من وقع في الشرك تحرم عليه الجنة ويحبط عمله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

٣- أن الواقع في الشرك حلال الدم والمال، كما جاء في البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**».

٤- أن من وقع في الشرك فقد أتى أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣].

٥- أن من وقع فيه فقد وقع في أعظم ذنب حذر منه الشرع، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

ووجه الدلالة من هذه الآية: أنها تسمى بآية الحقوق العشرة فبدأ بالتوحيد والتحذير من الشرك، ومعلوم من صنيع العرب أنه يُبدأ بالأهم ثم الذي يليه، وفي البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم؟ فقال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**».

❖ قوله: (**وأحبط العمل**) أي: أبطل جميع عمله وهي الحسنات، فلا يجد ثمرتها، ولا ينال بركتها، وينعدم نفعها وخيرها، إذا مات على الردة ولم يتب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [البقرة:٢١٧]، أما من تاب قبل موته وأناب فمستثنى من إبطال حسناته بهذه الآية، بل تبدل سيئاته حسنات، كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

❖ قوله: (**وصار صاحبه من الخالدين في النار**) أي: وصار صاحب الشرك الأكبر ممن حُكِمَ عليه بالخلود في النار وبئس القرار.

فهذه العبارة من المصنف أوضحت أن مراده بالشرك أي الشرك الأكبر؛ لأنه هو الذي يوجب الخلود في النار، ولهذا قال تعالى في تتمة الآية السابقة الذكر: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢١٧].

❖ قوله: (**لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله**) هذه فائدة دراسة التوحيد، وثمرة من ثماره العظيمة، ألا وهي: الحرص على التخلص من الشرك، والسعي بجدية في ذلك.

وانظر كيف شبّه الشرك بالشبكة، فالشبكة هي الشوك المتكاثر والمحيط بك، إذا علقت في قدم الإنسان أو في ثيابه ماذا تكون النتيجة؟ يحصل أنه يتعثر في مسيره ويسقط، وكلما أراد إزالتها وإخراجها علقت به الأخرى وهكذا، حتى لا يستطيع التخلص منها.

وهذا تمثيل بديع للشرك، فإن الإنسان إذا تساهل في يسير الشرك أوشك أن يقع في عظيمه، ولذلك قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، أخرجه أحمد (٥/٤٢٨) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وهو في الصحيحة للعلامة الألباني (٩٥١).



القواعد الأربع مأخوذة من القرآن

قال المصنف رحمه الله:

(وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ).

الشرح: ___

❖ قوله: (**وذلك**) أي: الطريق التي تسلم بها بإذن الله من شباك الشرك وحبائله وزخارفه، يكون بمعرفة هذه القواعد الأربع اللاتي ذكرها.

❖ قوله: (**قواعد**) جمع قاعدة، والقاعدة لغة: أساس البيت وأصله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧]، وقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٢٦].

وفي الاصطلاح: الضابط وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته.

انظر: التعريفات للجرجاني (ص:٢١٩)، والمصباح المنير (٢/ ٥١٠).

ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها المصنف رحمه الله هو: معرفة التوحيد، ومعرفة ضده وهو: الشرك.

وبيَّن رحمه الله أن مستنده في هذه القواعد هو ما جاء في كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسول الله ﷺ وسيرته، لم تكن من اختراعه وبنيات أفكاره، كما يفعل ذلك المتخبطون المبتدعون.

فعلينا أن نحرص على معرفة هذه القواعد وفهمها؛ لأننا إذا فهمناها وعرفناها سَهُل علينا معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وسهل علينا معرفة الشرك الذي حذر الله منه، وبيَّن خطره وضرره في الدنيا والآخرة.

وهذا أمر مهم جدًّا، وهو ألزم علينا من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات، وسائر الأمور الدينية؛ لأن هذا هو الأمر الأولي والأساس للدين؛ لأن الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصح إلا إذا بنيت على توحيد الله ﷻ.

وقال المصنف رحمه الله في بعض نسخ هذه الرسالة كما في الدرر السنية (٣/ ٢٧): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فهذه أربع قواعد، ذكرها الله في محكم كتابه، يعرف بها الرجل: شهادة أن لا إله إلا الله، ويميز بها بين المسلمين والمشركين، فتدبرها يرحمك الله، وأصغ إليها فهمك؛ فإنها عظيمة النفع. اهـ.

قال العلامة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في رسالته: الرد على ما في ورقة رجل من فارس لما تضمنته من الشقاق لأهل التوحيد كما في الدرر السنية في الكتب النجدية (١٥/ ٣٦٥-٣٦٨) مبينًا عظيم أمر هذه القواعد، وكبير منزلتها، وخطورة من أنكرها وردها:

وكذلك القواعد، فإن كل مسألة ينبني عليها مسائل، يسميها العلماء قاعدة، وقد صنف العلماء كتبًا كبارًا، وسموها بالقواعد؛ فمنها ما هو في أصول الفقه، وهذه القواعد التي وضعها شيخنا رحمه الله، أحق بهذا الاسم من غيرها، لما ينبني عليها من أصول الدين؛ فإن معرفة توحيد الربوبية، من توحيد الإلهية، لا يسع أحدًا جهله.

إلى أن قال: فمن أنكر هذه القواعد التي وضعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، فقد كفر بما تضمنته من أدلة أصول الدين، التي تضمنتها آيات القرآن المحكمات وصحيح الأحاديث؛ وذلك هو الدين القيم، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة آية : ٥].

وبهذا البيان، يعلم المنصف أنه لا ينكر تلك القواعد إلا من أقعده جهله، وعميت بصيرته، وضل فهمه، وتغيرت فطرته، وضاع عقله، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله معرفة الحق وقبوله، ومحبته والعمل به والثبات عليه، والاستقامة في الدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا. اهـ.

وبعد أن ابتدأ المصنف رحمه الله هذه الرسالة بهذه المقدمة الطيبة شرع في ذكر القواعد الأربع، قاعدة قاعدة.



القاعدة الأولى

قال المصنف رحمه الله:

الْقَاعِدَةُ الأُوْلَى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكَافِرِيْنَ الَّذِيْنَ قَاتَلَهُمْ رَسُوْلُ الله ﷺ مُقِرُّوْنَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، الْمُحْيِيْ، الْمُمِيْتُ، الْمُدَبِّرُ [لِجَمِيْعِ الأُمُوْرِ]،(٧) وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ ذَلِكَ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].



(٧) الذي في المخطوط: «المدبر جميع الأمور».

حال الكافرين الذين قاتلهم رسول الله

قال المصنف رحمه الله:

(الْقَاعِدَةُ الْأُوْلَى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكَافِرِيْنَ الَّذِيْنَ قَاتَلَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مُقِرُّوْنَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ).

الشرح: ــ

❖ قوله: (**أن تعلم**) علمًا بالدليل منافيًا للجهل؛ لأن دين الله لا يتوصل إليه إلا بالعلم، والعلم هو قال الله قال رسوله ﷺ.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وعلم الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله كما في نكت الهميان في نكت العميان للصفدي (ص: ٢٢٩):

العلم: قال الله، قال رسوله ... إن صح، والإجماع فاجهد فيه

وحذارِ من نصب الخلاف جهالة ... بين الرسول وبين رأي فقيه

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وإن شرف العلم بشرف المعلوم، وأشرف العلوم هو توحيد الله؛ لأن الله سبحانه أشهد على وحدانيته: الملائكة، والأنبياء، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

وأمر الله نبيه ﷺ بأن يَعْلَمه، فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

❖ قوله: (**أن الكافرين**) جمع كافر، والكفر هو الجحود، وأصله من الكفر وهو الستر، ومنه سمي الليل كافرًا؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته.

وسمي الزارع كافرًا؛ لأنه يستر الحب بالتراب.

والكفر شرعًا: ستر الحق وتغطيته بالجحود.

ولهذا سمي الكافر كافرًا؛ لأنه ستر الحق بجحوده.

والكفر الأكبر على ستة أنحاء:

الأول: كفر الإنكار، وهو: أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به.

الثاني: كفر الاستكبار والإباء، وهو: أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه استكبارًا، ككفر إبليس، وفرعون، واليهود، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩].

الثالث: كفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به، ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دِينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

الرابع: كفر إعراض، وهو: أن يُعْرِض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة.

الخامس: كفر الشك، وهو: أنه لا يجزم بصدق الرسول ولا بكذبه، بل يشك في أمره، فإن أعرض عن النظر والسماع استمر شكه، وإن سمع ونظر زال شكه، وكان بين أن يؤمن، أو أن يقع في نوع من أنواع الكفر.

السادس: كفر النفاق، وهو: أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب.

ومن لقي الله تعالى بواحد منها لا يُغفر له.

انظر: تفسير البغوي (١/ ٦٤)، ومدراج السالكين (١/ ٣٣٧-٣٣٨).

❖ قوله: (**الذين قاتلهم رسول الله ﷺ**) بسيفه وجيشه حتى يذعنوا لتوحيد ربهم ورازقهم في العبادة؛ ممتثلًا أمر الله بقتالهم في قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وقال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**»، أخرجه البخاري (١٣٩٩، ٢٩٤٦) ومسلم (٢٠، ٢١، ٢٢) من حديث عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما، ومسلم (٢٢) عن جابر رضي الله عنه.

❖ قوله: (**مقرون**) أي: بقلوبهم، معترفون بألسنتهم.

❖ قوله: (**بأن الله تعالى هو الخالق**) وهو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الموجد للمخلوقات من العدم، وقد تقدم.



المشركون لا ينكرون أن الله هو الرازق

قال المصنف رحمه الله:

(الرَّازِقُ).

الشرح: ________________

❖ قوله: (الرازق) اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج:٥٨]، وقال جلَّ وعز: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون:٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١].

ولأحمد (٣/ ١٥٦)، وأبي داود (٣٤٥٣)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، والدارمي (٢٥٤٥) بسند صحيح، من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق**».

ومن أسمائه أيضًا: الرزاق، على وجه المبالغة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

وهذان الاسمان الكريمان يدلان على أن الله هو المتكفل بأرزاق العباد وكل دابة على وجه الأرض، ولا يملك رزقها إلا هو، ولا يخرج أحد عن رزقه وعطائه الحسي والمعنوي.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت:٦٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ

ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت:١٧]، وقال: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٩].

واعلم: بأن رزق الله رزقان: عام وخاص.

فأما العام: فهو الرزق الشامل لكل مسلم وكافر، أو بر وفاجر، أو إنس وجنٍّ وحيوان، كما تقدم في الآيات.

وأما الخاص: فهو الرزق المسبغ على أهل طاعته وعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

واعلم أيضًا: بأن الرزق منه ما هو حسي، ومنه ما هو معنوي.

فالرزق الحسي: كالطعام والشراب، والزوجة والولد، والمسكن، والمركب، والفراش، والأثاث، ونحو ذلك.

والرزق المعنوي: كالإيمان، والعمل الصالح، والعلم النافع، وما في معناه مما يرفع العبد ويعليه، وهو أنفع الرزق، وأفضله، وأكرمه، وأيضًا كالعقل، وحسن الفهم، والذكاء، والحياء، وأشباه ذلك.

والناس يتفاوتون في هذه الأرزاق، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل:٧١].

واعلم: بأن الرزق دنيوي وأخروي.

فأما الرزق الدنيوي: فهو ما تقدم بيانه بأقسامه وأنواعه.

وأما الرزق الأخروي: فهو دخول الجنان، والفوز بالرضوان، وهذا لا يكون إلا لأهل

الإيمان والعمل الصالح، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج:٥٨]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة:٢٥]، وقال: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق:١١]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر:٤٠]، وقال: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٥٩-٦٣]، وقال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١].



المشركون لا ينكرون أن الله هو المحيي المميت

قال المصنف رحمه الله:

(الْـمُحْيِيْ الْـمُمِيْتُ).

الشرح:

❖ قوله: (**المحيي**) أي: هو الذي يحيي من شاء من خلقه بعد أن كان نطفة، ويحييه بنور الإسلام والمعرفة الحقة، ويحييه بعد نومه، ويحييه يوم البعث، ويحيي الأرض بعد موتها بخروج النبات.

❖ وقوله: (**المميت**) أي: هو الذي يميت النطفة أو الجنين في بطن أمه، ويميت القلوب، ويميت الأرض، ويميت الأحياء، والأقوياء، والأصحاء ومن شاء من خلقه في هذه الدنيا بانقضاء أجله، قهرًا للعباد بلا منازع، وحكمًا نافذًا بلا ممانع.

ولو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها، أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا؛ ليُعلم أن مصدر الخير والشر، والنفع والضر من قبله، وأنه لا شريك له في الملك، استأثر بالبقاء، وكتب على خلقه الفناء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٨].

وقال سبحانه في إحياء الخلق وإماتتهم على وجه العموم: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس:٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران:١٥٦]، ولها نظائر كثيرة في كتاب الله عز وجل.

وقال تعالى في إحياء النطفة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج:٦٦].

وقال تعالى في إحياء البعث: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم:٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

وقال تعالى في إحياء القلوب بعد موتها: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤].

وقال تعالى في إحياء الأنفس بعد نومها: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢].

يبينه ويوضحه: ما أخرجه البخاري (٦٣١٢ و٦٣٢٥) من حديث حذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما، ومسلم (٢٧١١) عن البراء رضي الله عنه، قالوا: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: "**باسمك اللهم أموت وأحيا**"، وإذا استيقظ من منامه قال: "**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور**"، وهذا لفظ حديث حذيفة رضي الله عنه.

وقال تعالى في إحياء الأرض: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [الفرقان:٤٨-٤٩]، وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا

بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق:٩-١١]، وقال جلَّ شأنه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ [الروم:٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الحديد:١٧].

انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٨٦).

وهل المحيي والمميت من أسماء الله ﷻ؟.

أثبته ابن منده في التوحيد (٢/ ١١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٨٦)، وحافظ حكمي في أعلام السنة المنشورة (ص:٣٤)، ومعارج القبول (١/ ٥٢).

ودليلهم: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١) في عدِّ الأسماء، وهو حديث ضعيف، وعدُّ الأسماء مدرج ليس من الحديث.

نعم ورد المحيي في القرآن لكن مقيدًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الروم:٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩].

والحاصل: أنه لم يصح أنهما اسمان لله ﷻ، ثم على القول بأنهما اسمان لله ﷻ فلا يكون أحدهما كمالًا إلا مع قرينه؛ لأنه لم يأتِ مطلقًا.

وبناء على هذا فلا يسوغ التعبيد للمميت، فلا يقال: عبد المميت؛ لأن كماله باسم الله المحيي.



المشركون لا ينكرون أن الله هو المدبر

قال المصنف رحمه الله:

(الْمُدَبِّرُ [لِجَمِيعِ الأُمُورِ]،[٨] وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ ذَلِكَ فِي الإِسْلَامِ).

الشرح:

❖ قوله: (**المدبر لجميع الأمور**) أي: العلْوِيَّة والسفليَّة، وشؤون الخليقة كلها، من مَلَكٍ، وإنس، وجن، وحيوان، وجماد، وغيره.

ومعنى المدبر: العالم بأدبار الأمور وعواقبها، ومقدر المقادير ومجريها إلى غاياتها، يدبر الأمور بحكمته، ويصرفها على مشيئته. اهـ من الاعتقاد للبيهقي (ص:٦٨).

وهل المدبر من أسماء الله؟.

أثبته البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٢٨)، وحافظ حكمي في أعلام السنة (ص:٣٤) بناء على حديث عدِّ الأسماء وهو حديث ضعيف عند أهل العلم.

وبما أن الحديث ضعيف فلا نقول: بأن المدبر من أسمائه سبحانه وتعالى، وإنما هو من صفاته، أطلقه هنا توسعًا؛ لأن باب الإخبار عند العلماء أوسع من باب الأسماء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس:٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس:٣١].

❖ قوله: (**وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام**) أي: أن الإقرار بربوبية الله وأنه الخالق الرازق المدبر لم يقضِ لهم بالدخول في الإسلام؛ لشركهم في عبودية الله، واتخاذهم الأنداد والأضداد.

---

(٨) الذي في المخطوط: (المدبر جميع الأمور).

والإسلام لغة: الاستسلام والانقياد والخضوع، انظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٣٢)، وتفسير القرطبي (٢ / ١٣٢)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٥).

وشرعًا: ما عرفه النبي ﷺ حين سئل عنه فقال: «أن يُسْلِم قلبُك لله تعالى، وأن تُوَجِّه وجهَك إلى الله تعالى»، أخرجه أحمد (٥/ ٣) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وسنده حسن.

وعرفه المؤلف في ثلاثة الأصول بقوله: (الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله).

وهذا هو تعريف الإسلام بالمعنى العام الذي دعت إليه الرسل كلهم وهو إخلاص الدين لله.

وأما تعريفه بالمعنى الخاص فهو ما جاء به محمد ﷺ من شرائع وأحكام.

انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٤).

ودين الإسلام هو دين الله الحق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وهو أحسن الدين، كما في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥].

وهو الدين الذي لا يقبل من عبد سواه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وهو الدين الذي رضيه الله لنا، كما في قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وهو الدين الذي لا ينقطع، كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ [النحل:٥٢] أي: دائمًا ثابتًا، بخلاف عبادة غيره فإنها منقطعة زائلة.

فلهذه الأمور كانت الأخوة في الدين أرفع رتبة من أخوة النسب؛ لأن أخوة النسب تنتهي بموت أهلها، وأخوة الدين الحق تبقى لأهلها، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧].

والأخوة في الدين تتفاوت بقدر تفاوت أهله في التمسك به، فأعلى درجاتها، وأشرف منازلها: الأخوة على ما كان عليه السلف الصالح من التمسك بالكتاب والسنة، والبعد عن البدع والأهواء والمعاصي وكل فتنة.



دليل القاعدة الأولى

قال المصنف رحمه الله:

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]) .

الشرح: ___

❖ قوله: (والدليل) الدليل في اللغة: هو المرشد إلى المطلوب، وما به الإرشاد.

وفي الاصطلاح: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.

انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ١٤٠) ، والورقات للجويني (ص: ٩) .

قال العمريطي في نظم الورقات:

وَحَدُّ الاستدلالِ قُلْ ما يَجتلبْ لنا دليلًا مرشدًا لما طُلب

ودليل هذه القاعدة: هو ما ذكره المصنف وهو (قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]) .

أي: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للذين يجعلون لي أندادًا في العبادة ﴿ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الغيث والقطر، ويطلع لكم شمسها، ويُغْطِش ليلها، ويخرج ضحاها، هكذا أيضًا ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من يرزقكم منها أقواتكم وغذاءكم الذي ينبته لكم، وثمار أشجارها، أخبروني ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ﴾ لكم

يا من عبدتم غير الله ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ الذي تسمعون به بأن يزيدَ في قواها، أو يسلبكموها فيجعلكم صمًّا ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ التي تبصرون بها بأن يضيئها لكم وينيرها، أو يذهب بنورها فيجعلكم عُمْيًا لا تبصرون؟ وقل لهم يا محمد: ﴿وَمَن يُخْرِجُ﴾ الشيء ﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ﴾ الشيء ﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ وقل لهم أيضًا: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أمر السماء والأرض وما فيهن، وأَمْرَكم وأمرَ الخلق أجمعين من وجود وعدمه، وحياة وموت، وغنى وفقر، وعز وذل، أتدري ما هو جوابهم إن سألتهم يا محمد: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ معترفين مقرين بلا تردد ولا تشكك ﴿ٱللَّهُ﴾ هو الذي رزقنا، ويملك سمعنا وبصرنا، وأخرج الحي من الميت والميت من الحي، ودبر أمرنا ﴿فَقُلْ﴾ لهم بعد إقرارهم بربوبيتي من غير شريك: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئًا، ولا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا، ولا يفعل فعلًا؟!.

ومثل هذه الآيات في كتاب الله كثير: كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩].

فهذه الآيات تدل على أن الذين أُرسل إليهم النبي ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية، ولم يكونوا يعتقدون أن الأوثان والأصنام هي التي تخلق وترزق وتملك وتدبر، ولهذا كان من قولهم في التلبية: (**لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا لك، تملكه وما ملك**).

وهذا نص ظاهر في كون المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بربوبية الله وحده لا شريك له.

وبهذا يتبين أن السبب الذي لم يدخلهم في الإسلام هو: وقوعهم في الشرك بجعلهم الأوثان ندًّا لله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

انظر: مجموع الفتاوى (٣-٩٦-٩٨) و(٧/ ٧٥) و(١٠/ ٢٦٤)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ١٩٩)، ودرء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٩٠-٣٩١)، ومدارج السالكين (١/ ٧٤)، والدرر السنية (١٥/ ٤٩٧)، و(١٧/ ١١٣)، ومجموع فتاوى العلامة ابن باز (١/ ٢٦)، و(٣/ ٩-١١)، ومجموع فتاوى العلامة العثيمين (١/ ٢٦)، و(٧/ ٢٦ و٥٧ و٢١٣ و٢٣٨)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٧/ ٣٥٨).

ولقد وُجدت طوائف تنكر وتكفر بتوحيد الربوبية أو ببعضه: كالدهرية، والشيوعية، وغلاة الصوفية، والقدرية، ومنهم من نفاه كفرعون إذ قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤].

ولكن نفاه تكبرًا وجحودًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤]، ولهذا آمن لما رأى الموت وتيقنه، كما قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

وانظر: المحلى لابن حزم (٣/ ١٦٦)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٠) و(٣/ ٩٨)، ومجموع فتاوى العلامة ابن باز (٢/ ٢١) و(٥/ ٣٣٥) و(١٣/ ٣٣٠)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٧٠).

وخلاصة هذه القاعدة:

أن رسول الله ﷺ أُرسل إلى قوم يقرون بتوحيد الربوبية، ومع إقرارهم بهذا التوحيد لم يدخلهم الله في الإسلام، ولم يحرم دماءهم، ولا أموالهم، فهذا دليل على أن التوحيد الذي أُرسل به ﷺ ليس هو الإقرار بالربوبية؛ لأنهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر وحده.



القاعدة الثانية

قال المصنف رحمه الله:

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ:

أَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، وَنُرِيْدُ مِنَ اللهِ لَا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِمْ،[وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِهِمْ].[٩]

فَدَلِيْلُ الْقُرْبَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيْلُ الشَّفَاعَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ الآية [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْـمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيْمَا لِا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

---

(٩) الذي في المخطوط: (والتقرب إليهم).

وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْـمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِيْ تُطْلَبُ مِنَ الله فِيْمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْـمَشْفُوْعُ لَـهُ مَـنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَـهُ وَعَمَلَـهُ بَعْـدَ الإِذْنِ.

وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥].



مقصد المشركين من دعاء آلهتهم

قال المصنف رحمه الله:

(الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، وَنُرِيْدُ مِنَ اللهِ لَا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِمْ، [وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِهِمْ](١٠)).

الشرح:

بيّن المصنف رحمه الله في هذا القدر من القاعدة الثانية: أن المشركين الذين سماهم الله مشركين وحكم عليهم بالخلود في النار لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في الألوهية، فهم لا يقولون: إن آلهتهم تخلق وترزق مع الله، أو أنها تنفع وتضر مع الله، وإنما اتخذوهم شفعاء وقربة إلى الله، بل وتواصوا على عبادة الأوثان والصالحين كما قال تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦].

وهناك أسباب منعت المشركين من عبادة الله رب العالمين، منها:

قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

ومنها: الإعراض عن سماع الحق والعمل به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

---

(١٠) الذي في المخطوط: (والتقرب إليهم).

ومنها: الكبر والعناد، قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس:٢]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ:٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣٠-٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصلت:٣٧- ٣٨].

ومنها: الاغترار بكثرة المال والأولاد والأنصار، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ:٣٤-٣٥]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ [العلق:١٤-١٩].

ومنها: حب الزعامة والرئاسة، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٠٩-١١٠]، وفي سورة يونس: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٧٨].

❖ قوله: (**لطلب القربة والشفاعة**) أي: يجعلونهم وسطاء بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، ويشفعون لهم عند الله فهذه هي عقيدتهم، وهذا يُعتبر كفرًا، ومن فعله أو اعتقده كَفَرَ بإجماع المسلمين. انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٣-١٢٤).

❖ قوله: (**ونريد من الله لا منهم، لكن بشفاعتهم، والتقرب إلى الله بهم**) أي: أننا نعلم ونُقِرّ أن مقاليد الأمور بيد الله، لكن لا يمكننا الوصول إلى الله إلا عن طريق من اتخذناهم لنا شفعاء، وواسطة تقربنا إليه؛ لما لهم من عظيم المنزلة -كالملائكة، والأنبياء، والصالحين-، أو السلامة من الذنب -كالأحجار، والأشجار-.



دواعي وقوع المشركين في طلب القربة والشفاعة من آلهتهم والجواب عليها

وقبل الكلام على فقرات هذه القاعدة نذكر دواعي طلب المشركين القربى والشفاعة من آلهتهم، والأسباب التي أوقعتهم في ذلك، والجواب على كل سبب.

اعلم -رحمك الله-: أن الذي دعا المشركين إلى أن يجعلوا بينهم وبين الله وسائط، يسألونهم من دون الله، ويتوكلون عليهم، ويطلبون منهم المنافع ودفع المضار، هي دعاوى اختلقوها، وأسباب اخترعوها، كانت حاجزًا لهم عن إخلاص الدين لله، وتوحيد العبادة، درج على بعضها مشركو هذا الزمان من عبدة القبور والصالحين، والعاكفين عليها، وجعلوها سلّمًا لتزيين شركهم، والدفاع عنه، وكأنهم لا يعلمون أنها عين ما وقع فيه المشركون الأوائل، وهو المقصود بيانه عند المصنف تحت هذه القاعدة الجليلة.

السبب الأول:

ظنهم ألَّا أهلية عندهم لعبادة الله ودعائه؛ لكونهم أصحاب ذنوب ومعاصٍ، ولهذا كانوا يطوفون عراة يقولون: إن ثيابنا التي نلبسها قد ارتكبنا فيها المعاصي، فلا يليق أن نعبد الله وندعوه ونحن نرتديها، فيخلعونها. انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٨١).

السبب الثاني:

أن الملائكة والأنبياء والأولياء لهم جاهٌ ومنزلة رفيعة عند الله، فلذلك جعلناهم وسائط بيننا وبين الله. انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٥٠-١٥١).

السبب الثالث:

قياسهم الفاسد وهو: أنهم جعلوا الله الملك القهار مثل الملك المقهور من ملوك الدنيا، وذلك أنهم قالوا: إن الملك من ملوك الدنيا لا بد له من وزراء يُعلِمونه بما يجري، ولا بد

للملك من أقوام يعينونه، ولا بد له من مقربين يستعطفونه على الرعية ليرحمهم، ويقضي حوائجهم.

انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦-١٢٧) و(١/ ١٣٤-١٣٥)، و(٢٧/ ٦٦)، و(٢٧/ ٧٢-٧٤)، (٢٧/ ٢٨٣)، والرد على المناطقيين (ص:٥٢٧)، ومدارج السالكين (١/ ٣٤١).

فإن سألت عن الإجابة على هذه الأسباب التي يتهوك بها المشركون - قديمًا وحديثًا- فدونك هي:

الإجابة عن السبب الأول:

قولهم: إنهم أهل معاصٍ وذنوب فليسوا أهلًا لعبادة الله، هذا مردود باطل، يرده قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢].

وفي الحديث القدسي: «**ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**»، أخرجه مسلم (٢٦٨٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وللترمذي (٣٥٤٠) نحوه من حديث أنس رضي الله عنه -وهو حسن بشواهده-، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله ﷻ: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**».

وهكذا ما جاء في قصة التي قتل مائة نفس عند البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وبيان توبة الله عليه.

فهذه الآيات ونظائرها فيها أَمْرُ الله تعالى لأهل المعاصي والذنوب بالتوبة والرجـوع إلى الله، وألا يقنطوا من رحمة الله الواسعة، وأن يُسلموا لله سبحانه وتعالى.

فهل انقادوا لها وامتثلوها؟ لا، بل أعرضوا عنها، وتجاسروا على مخالفتها، بـإصرارهم عـلى ذنوبهم من غير إحداث توبة منها، بل ووقوعهم في الشرك بقـسميه مـن غـير إخـلاص لله في عبادتهم إلا عند الشدائد.



الإجابة على السبب الثاني

وأما الإجابة على السبب الثاني -وهو دعاؤهم الملائكة والأنبياء والأولياء من دون الله بحجة أن لهم جاهًا عند الله-، فكون الملائكة والأنبياء والأولياء لهم جاه عند الله صحيح، لكن هل جاهُهم، ومنزلتهم الرفيعة، ودرجتُهم العالية عند الله، لها علاقة بغيرهم، أو أنها سبب لنفعهم، أو دفع ضرهم؟.

الجواب: لا، بل هي مقصورة على أصحابها، وهذا الذي قصدوه مردود باطل، والدليل قوله تعالى في موضعين: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦] و[الجاثية:١٥]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١]، وقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]، وقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم﴾ [الزمر:٤١].

وقال تعالى مبينًا ذلك وموضحًا له: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦]، وقوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٦]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ

أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٥-٤٦]، فهذا نوح عليه السلام له جاهٌ عند الله فشفع - وهو حيٌّ - في ابنه فلم يقبلِ اللهُ شفاعتَه، بل وأنكر عليه طلبها.

ومثله إبراهيم الخليل عليه السلام، شفع في قوم لوط عليه السلام كما قال تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ فلم يقبل الله شفاعته وهو خليل الله وكان حيًّا، وقال له: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود:٧٤-٧٦].

وهكذا لما استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه بعد وعده: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١]، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة:٤]، فلم يقبل الله استغفاره لأبيه.

وهكذا نبينا ﷺ لما قال في عمه أبي طالب: «**لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك**» أنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٣-١١٤].

وهكذا لما استأذن ربه أن يستغفر لأمه نهاه عن ذلك.

وهكذا لما استغفر للمنافقين، وصلى على عبدالله بن أبي بن سلول، أنزل الله نهيه عن ذلك ولم يقبل شفاعة نبيه ﷺ ولا استغفاره لهم، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

ﭐلۡفَـٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٨٠]، ثم قال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨٤].

وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم:١٠].

وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يخبر أمته بأنه لا يملك لهم من الله شيئًا، فقال له: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ [الجن:٢١]، وبقوله: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وبقوله: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٤٩].

وفي البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] قال: «**يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا**».

ورواه مسلم (٢٠٤) أيضًا من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا**

بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها»، والأدلة في هذا المقام كثيرة جدًا. انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٨٦-٣٨٧).



الإجابة على السبب الثالث

وأما الجواب على السبب الثالث -وهو تشبيههم اللهَ بالمخلوق- فإنه يكون بجوابين عام وخاص.

أما الجواب العام:

فإن تشبيههم رب العالمين الخالق المالك القادر المحمود من كل وجه بالمخلوق المملوك العاجز الناقص لمحرم عظيم، وذنب جسيم، وجهل كبير، وضلال مستطير؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠]، وقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، وقال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤].

وأما الجواب الخاص: فعلى فقراته الثلاث:

الأولى: قولهم: إن الله لا بد له من وزراء يُعلمونه بما حصل، فهذا القول فيه إنكار لعلم الله سبحانه للغيب، وهو مردود بالآيات المتكاثرة، كقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦]، وقوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]، وقوله: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]، والأدلة في هذا الباب كثيرة معلومة.

ففي هذه الآيات إثبات أن الله لا يحتاج أن يُعلمه أحد بحاجات خلقه؛ لأنه محيط بكل شيء علمًا، فهو يبصر مكان خلقه، ويسمع أصواتهم، ويجيبهم وإن تباينت لغاتهم، واتفقت أوقاتهم،

واختلفت حاجاتهم، كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته**»، الحديث بطوله رواه مسلم في صحيحه (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى.

الثانية: قولهم: إن الله يحتاج إلى من يعينه على قضاء حوائج خلقه، فهذا أيضًا كفر عظيم، وجرم جسيم؛ لأنها تَرُدُّ نصوصَ القرآن في إثبات غنى الله عن خلقه، وافتقارهم إليه، وعدم استغنائهم عنه، وهي كثيرة لا تحصر، منها: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦]، وقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر:٧]، وقوله: ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن:٦]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨].

وفي الحديث القدسي -الذي تقدم تخريجه آنفًا-: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**»، الحديث بطوله.

الثالثة: قولهم: إن الله يحتاج إلى من يستعطفه على خلقه، فهذا قول من جَهِلَ ربَّه حقيقة، فالله هو القائل: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]﴾، والقائل: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:١٩]، والقائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]، والقائل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣]، والقائل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ

يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف:٥٨]،

وفي موضعين: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١٠٩ و١١٨].

وقال أيوب وموسى عليهما السلام: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٥١] و[الأنبياء:٨٣].

وقال يعقوب عليه السلام: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٦٤].

وقال يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٩٢].

وفي البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **"لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي"**.

فبهذا يُعلم أن هذه شبهات باطلة، وعن الحق عاطلة، وهي عمدة كل فرقة جاهلة.



دليل القربة

قال المصنف رحمه الله:

(فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]).

الشرح: ____________________

❖ قوله: (**فدليل القربة**) أي: فهذا النص المرشد إلى ما قدمناه لك من اتخاذ المشركين آلهتهم من دون الله لقصد أن تقربهم وتدنيهم من الله.

والدليل: هو المرشد إلى المطلوب كما تقدم.

ثم ذكر المصنف رحمه الله الدليل القاطع لما قعده وأصله، وهو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

ومعنى الآية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أي: من دون الله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يتولونهم يقولون: نحن ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: الأوثان والأصنام ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: قربة ومنزلة، ويشفعوا لنا عند الله في قضاء حاجتنا، وكشف كربتنا، ثبت عن قتادة وابن زيد.

وخطاب قريش هذا كان لأوثانهم، كما كان خطاب من قبلهم للملائكة، وعيسى، وعزير، ثبت عن مجاهد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ﴾ أي: يفصل يوم القيامة ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: بين هؤلاء الذين اتخذوا في الدنيا أوثانًا مختلفين يتولونهم من دون الله ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ من عباداتهم من دون الله، فهذا يعبد الملائكة، وهذا يعبد الأنبياء، وهذا يعبد صالحي البشر، وهذا يعبد الجن، وهذا يعبد الأشجار والأحجار، فيُصْلِيهم جميعًا النار وإن اختلفت معبوداتهم، لماذا؟ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ أي: لا يرشد إلى دينه الحق والجنة ﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ بقوله: إن الآلهة تشفع، وأيضًا لا يرشد من هو ﴿كَفَّارٞ﴾ مبالغ في الكفر بقلبه، إلا من أخلص الدين لله فوحده، ولم يُشرك به شيئًا، فيهديه إلى دينه الحق، والجنة.

فسمى الله سبحانه وتعالى طلبهم من آلهتهم للقربى منه تعالى عبادةً وكذبًا وكفرًا، فأي دليل أظهر من هذا؟!.

وانظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٠).

وروي عن قتادة أنه قال: وذلك أنهم إذا قيل لهم: من ربكم، ومن خلقكم، ومن خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، أي: قربى. اهـ من تفسير البغوي لهذه الآية.

وثبت عنه كما في تفسير ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] أنه قال: فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك.

وهذا يؤكد قول المصنف رحمه الله عن مشركي العرب أنهم يقولون: (**ونريد من الله لا منهم، لكن بشفاعتهم، والتقرب إلى الله بهم**).



دليل الشفاعة وبيان أقسامها

قال المصنف رحمه الله:

(وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]).

الشرح: ________________

❖ قوله: (**ودليل الشفاعة**) الشفاعة لغةً: اسم من شفع يشفع، مأخوذ من الشفع، وهو ضد الوتر، وهو جَعْلُ الوترِ شفعًا، مثل: جَعْلِ الواحد اثنين، والثلاثة أربعة وهكذا، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣].

وفي الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

وقيل: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.

وقيل: سؤال الخير للغير.

انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (شفع)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٤٨٥)، والتعريفات للجرجاني (ص:١٢٧)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٠٤)، ومجموع فتاوى العثيمين (٢/ ٤٥).

أقسام الشفاعة:

والشفاعة على قسمين: دنيوية وأخروية.

فأما الدنيوية: فهي توسط صاحب الفضل والجاه والمنزلة للغير في جلب منفعة له من مال، أو وظيفة، أو نكاح، ونحو ذلك، أو دفع مضرة من قصاص، أو سجن، أو غرامة مالية، وما شابهه.

وهي على نوعين: شفاعة جائزة أو مشروعة، وشفاعة ممنوعة.

فأما النوع الأول: فهو ما كان في شيء جائز أو مشروع، فالجائز: كالشفاعة في وظيفة، أو نكاح، والمشروع: كالشفاعة في طلب العلم، أو زجر ظالم، أو إنظار معسر.

ودليله: ما أخرجه البخاري (١٤٣٢) ومسلم (٢٦٢٧) عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طُلبت إليه حاجة، قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**»، وفي رواية مسلم: «**ما أحب**».

والشافع هنا مأجور قُبِلَتْ شفاعته أو رُدَّت بنص هذا الحديث.

وأما النوع الثاني: فهو ما كان في شيء محرم، كمن يشفع في إقامة الشركيات، أو في عمل المعاصي، أو في حدٍّ من حدود الله، أو في إعانة على الظلم.

ودليله: ما أخرجه البخاري (٣٤٧٥) ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يُكَلِّم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتشفع في حد من حدود الله ؟**»، ثم قام فاختطب فقال: «**أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

ويجمع النوعين: قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥].

قال ابن كثير رحمه الله **في تفسير هذه الآية:** وقوله: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ أي: من سعى في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً

سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته. اهـ.

وأما الشفاعة الأخروية: فهي على نوعين: منفية ومثبتة، وسيأتي بيانها -إن شاء الله- من كلام المؤلف رحمه الله.

❖ قوله: (ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾).

ينكر تعالى في هذه الآية على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، القائلين: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ظانين أن تلك الآلهة تضرهم إن عصوها، أو تنفعهم شفاعتُها عند الله إذا عبدوها، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدًا؛ ولهذا قال عقبها: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ صحته أن له شريكًا ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾؟ ثم نزَّه نفسه عن شركهم وكفرهم، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، فسمى طلبهم الشفاعة من آلهتهم عبادة وشركًا.

فأي دليل أظهر وأبين من هذا؟!.

فإن الله جلَّ وعلا بيده الشفاعة وهو يملكها ليست لغيره أبدًا كما قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٤٤].



الشفاعة المنفية

قال المصنف رحمه الله:

﴿وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]﴾.

الشرح: ________________

❖ قوله: ﴿والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة﴾ وهاتان هما الشفاعتان الأخرويتان، وقال المصنف رحمه الله في بيانها:

﴿فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله﴾ وهذه هي الشفاعة الشركية، التي يدعيها المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عز وجل، فإنها لا تنفعهم.

وقيده بقيد مهم، ألا وهو: ﴿فيما لا يقدر عليه إلا الله﴾ فيخرج من ذلك: ما يقدر عليه المخلوق، كمن يطلب من شخص حيٍّ قادر حاضر أن يشفع له عند صاحب عمل، أو صاحب منصب؛ ليحقق له نفعًا، أو يدفع عنه ضرًّا، فهي جائزة ما لم تكن في حدٍّ من حدود الله، فإن كانت في حدٍّ من حدود الله فلا تجوز، بل هي محرمة، كما تقدم بيانه.

لكن إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي محرمة وشركية، كمن يستغيث ويدعو غير الله، أو يصرف بعض العبادات لغير الله.

انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٧٠).

❖ قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]) أي: هذا هو الدليل على الشفاعة المنفية، فإن الله تعالى يأمر عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله- سبيل الخير- ؛ ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا ما داموا قادرين، وأرواحهم في أجسادهم: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ ﴾ أي: لا يُبَاع أحد من نفسه، ولا يُفادى بمال ولو بذله، ولو جاء بملء الأرض ذهبًا؛ لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب، لا يوم عمل واكتساب ﴿ وَ﴾ أنفقوا من قبل أن يأتيكم يوم ﴿ لَا خُلَّةٞ﴾ فيه، أي: لا تنفعكم صداقة أحد، فلا نصراء من الخلان، ولا ظهراء من الإخوان، بل ولا تنفعكم نسابة أحد كما كان حالكم في الدنيا؛ لانشغال كل واحد بنفسه، واختلاف أحوال الآخرة عن الدنيا، كما قال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] ، وقال: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ﴾ [المعارج:١١-١٨] ، وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس:٣٣-٣٧] .

ونظيرها: قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم:٣١] .

❖ وقوله: ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ أي: ولا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا، فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة، والجوار، والخلة، وغير ذلك من الأسباب، فبطل ذلك كله يومئذ، كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة إذا صاروا

فيها: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٥١]، وهذه هي الشفاعة المنفية.

ونظير هذه الجملة: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:٤٨]، وقوله في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:١٢٣].

فهذه الآية وإن كان مخرجها في الشفاعة عمومًا إلا أن المراد بها الخصوص، فمعناها: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾، لأهل الكفر بالله؛ لأن أهل ولاية الله والإيمان به، يشفع بعضهم لبعض بإذن الله، وهي الشفاعة المثبتة كما سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

❖ وقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مبتدأ محصور في خبره، أي: ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرًا؛ لأنهم جاحدون لله، مكذبون به وبرسله، واضعون جحودهم في غير موضعه، وجعلوا العبادة في غير موضعها، فلو كانوا أهل عدل وقسط لكفروا بعبادة الأصنام التي لا تملك لهم رزقًا ولا نفعًا، وأخلصوا الدين لله وحده لا شريك له.

انظر: تفسير ابن جرير، والبغوي، وابن كثير لهذه الآية.



الشفاعة المثبتة

قال المصنف رحمه الله:

(**وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِيْ تُطْلَبُ مِنَ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ**).

الشرح: ______________________________

❖ قوله: (**والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله**) الخ هذا تعريف الشفاعة المثبتة وهي أن تطلبها من الله سبحانه، بأن تدعو الله، وتستغيث به؛ لأنه مالك الشفاعة كما قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، فالشفاعة ليست لغيره سبحانه وتعالى، فهي له، ويعطيها من يشاء، ويَمنُّ بها على من يصطفي من عباده، وهم أهل التوحيد والإخلاص، كما أخرج البخاري في صحيحه (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سأل رسولَ الله ﷺ قائلًا: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه**».

فإذا علمت هذا فكل من يطلب الشفاعة من غير الله سبحانه فإنها محجوبة منه.

فيا ويل من تشبه بالمشركين، فطلب الشفاعة من الأنبياء، والصالحين، وقال: يا رسول الله اشفع لي، أو يا علي اشفع لي، أو يا حسين اشفع لي، أو يا جيلاني اشفع لي، أو يا عيدروس اشفع لي، وأمثال هذا مما يقرر عند القبورية تحت مسمى تعظيم الأولياء والصالحين، وهو عين شرك المشركين برب العالمين، نعوذ بالله من الخذلان، وتتبع خطوات الشيطان.

قال العيدروس في كتابه بذل المجهود(ص:٢٧) الذي يدافع فيه عن الشعب المنسوب لنبي الله هودﷺ : والغرض من الزيارة: هو الاستمداد من أرواح الأنبياء والأولياء، والمراد بذلك طلب الشفاعة منهم.اهـ.

قلت: وهذا هو عين شرك المشركين الأوائل.

قال العلامة ابن القيمرحمه الله في مدارج السالكين(١/ ٣٤٠) : والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله: هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده. والتي نفاها الله: هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم، ويفوز بها الموحدون.اهـ.

أقسام الشفاعة المثبتة :

اعلم: بأن الشفاعة المثبتة على قسمين عامة وخاصة:

أما الشفاعة العامة فهي على أنواع:

النوع الأول: الشفاعة لأهل القبور، ودليلها: ما أخرجه البخاري(٢١٦) ومسلم(٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: مر النبيﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبيﷺ :« **يعذبان، وما يعذبان في كبير**» ، ثم قال:« **بلى؛ كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة**» . ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كِسرة، فقيل له: يا رسول الله لِـمَ فعلت هذا؟ قال:« **لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا - أو- إلى أن ييبسا**» .

ويوضحه: حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم(٣٠١٢) أن النبيﷺ قال له:« **إني مررت بقبرين يعذبان، فأحببت بشفاعتي: أن يرفه عنهما، ما دام الغصنان رطبين**» .

النوع الثاني: شفاعة المؤمنين لمن استحق النار ولم يدخلها بأن لا يدخلها، ففي مسلم (٩٤٧) عن عائشة وأنس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعُوا فيه**».

وله (٩٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**».

النوع الثالث: شفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين لمن دخلها أن يخرج منها، ثم يشفع الله لهم فيُخرج من شاء من النار، وأدلته متواترة من ذلك حديث أنس رضي الله عنه في البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) -واللفظ له-: عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة. ثم يخرج من النار، من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة. ثم يخرج من النار، من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**».

وجاء في مسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخبر أنه يسجد عند العرش فيحمد ربه بمحامد يعلمه إياها، «**فيقال له: قل يسمع، واشفع تشفع، فيشفع لأقوام في النار بأن يخرجوا منها، فيخرج من قال: لا إله إلا الله، ثم يرجع مرة أخرى فيشفع لأقوام في النار بأن يخرجوا منها، فيخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان**»، وفي آخره: «**ولم يبقَ إلا من حبسه القرآن**».

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) -واللفظ له-: «**فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**».

وفي لفظ البخاري: «**فيقول الجبار: بقيت شفاعتي**».

ولأحمد (٣/ ٢١٣)، وأبي داود (٤٧٤١)، بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه وله شواهد كثيرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

وهاتان الشفاعتان أجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم، واتفق عليها أهل الملة، ما عدا طائفتين وهما: الخوارج والمعتزلة، فهم ينكرون الشفاعة في أهل المعاصي، وذلك أن الخوارج يعتقدون كفره، وحلَّ دمه وماله، وخلوده في النار، وأما المعتزلة فيقولون: هو فاسق ولم يحلوا دمه وماله، ولكن يحكمون عليه بالخلود في النار، وقولهم باطل بنص الوحيين والإجماع.

النوع الرابع: الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة، ودليله ما رواه مسلم (٩٢٠) عن أم سلمة رضي الله عنها أن أبا سلمة رضي الله عنه لما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وافسح له في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه**».

وانظر: الفتح (١٣/ ٢٥) وما بعده من كتاب الرقاق فقد ذكر ذلك.

وأما الشفاعة الخاصة:

فهي الشفاعة التي لا تكون إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى وهي في أهل الموقف، وذلك لما رواه مسلم (١٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**».

وهذه الشفاعة لأهل الموقف بعد أن تراجع عنها الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام عن الشفاعة، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أنا لها**»، أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) عن أنس رضي الله عنه، وجاء حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٤٧١٢،

ومسلم (١٩٤)، ووردت فيه زيادات أخرى.

وهذه الشفاعة تسمى الشفاعة العظمى؛ لأنها تشمل المسلم والكافر من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وهذا النوع من الشفاعة لا ينكرها أحد من أهل القبلة، وأدلتها متواترة.

النوع الثاني: شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق وفيه: «**فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أَدْخِلِ الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة**»، الحديث.

وفي مسلم (١٩٥) عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة**»، الحديث حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

النوع الثالث: شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب، وهذه خاصة فيه لا غير، ودليل هذا: ما جاء في البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) أن العباس رضي الله عنه قال لرسول الله: هل نفعت عمك أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال رسول الله: «**نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

وأصرح منه: حديث أبي سعيد رضي الله عنه حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**»، أخرجه البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢١٠).

شروط الشفاعة

قال المصنف رحمه الله:

(وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]).

الشرح:

❖ قوله: (والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة) أي: من أذن الله له أن يشفع للغير فهو في حقيقة الأمر إكرام للشافع، وإظهار لمنزلته حقًّا عند الله، وإعلاء لشأنه بين العباد، بأنه مرضي عند ربه، محبوب لديه، فلهذا جعله شافعًا لا مشفوعًا.

❖ قوله: (والمشفوع له من رضي الله قولَه وعملَه بعد الإذن) أي: والشرط في المشفوع له هو أن يكون مرضيَّ القولِ والعملِ عند الله، ولا يرضى الله إلا التوحيد والحق، والاستقامة والعمل الصالح، أما النسب والجاه والمنصب في الدنيا فلا ميزان له عند الله إلا بالإيمان والعمل الصالح.

❖ قوله: (كما قال تعالى) أي: مثل ما قال تعالى: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾).

يُظْهِرُ الله تمام عظمته، وكمال قدرته، بأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، لماذا؟ لأنه الله الذي لا إله إلا هو، ولأنه الحي وغيره يموت، ولأنه القيوم على شؤون الخلق كلهم وحده، وغيره قيوميته محصورة محدودة وفانية، ولأنه لا تأخذه سبحانه وتعالى غفلةٌ من نوم أو شيء من

مقدماته من نعاس، أو غير ذلك مما يعتري الخلق وينافي تمام القيومية.

فمن كانت هذه صفته فهو الذي له تمام الأمر وكماله، ويُرجع إليه الأمر كله.

وقد تضمنت الآية شرطًا من شروط الشفاعة المثبتة، وهي ثلاثة:

الشرط الأول: رضى الله عن الشافع.

الشرط الثاني: إذن الله للشافع.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨].

الشرط الثالث: رضى الله عن المشفوع له، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

فهذه ثلاث آيات فيها شروط الشفاعة المثبتة، وهذه الشفاعة تكون في الآخرة، ولا تتم إلا بهذه الشروط، فمتى ما اختل منها شرط لم تكن أبدًا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ٣٤١): فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قولـه وعملـه، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله. اهـ.

وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٩٢)، ومدارج السالكين (١/ ٣٤٠-٣٤١).

خلاصة القاعدة الثانية:

أن شرك كفار قريش وعبادتهم لأصنامهم لم يكن بأنهم يطلبون منها جلبَ نفع، أو دفع ضرٍّ، أو حصول رزق، وإنما كان بطلب الشفاعة والقربة منها إلى الله.

القاعدة الثالثة

قال المصنف رحمه الله:

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِيْنَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الْـمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِيْنَ،(١١) وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ.

وَقَاتَلَهُمْ رَسُوْلُ الله ﷺ وَلَمْ يُفَرِّق بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُـهُ تَعَالَى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

---

(١١) زاد في المخطوط: (ومنهم من يعبد الأصنام) وحذفها أولى؛ لأنها داخلة في الأشجار والأحجار، ولأنه لم يخصها بدليل.

وَدَلِيْلُ الْـمَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

وَدَلِيْلُ الْأَنْبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠].[١٢]

وَدَلِيْلُ الصَّالِحِيْنَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ [أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾][١٣] [الإسراء: ٥٦-٥٧].

---

(١٢) في مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٢٠١) الاكتفاء بالآية الأولى، وجعل الآية الثانية دليلًا في الملائكة دون آية سبأ [٤٠-٤١].

(١٣) ما بين المعقوفتين زيادة من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٢٠٢).

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:١٩-٢١] الآية.

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. [فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٣٩]». (١٤)



(١٤) ما بين المعقوفتين زيادة من الدرر السنية (٢/ ٢٦) وفي آخر الحديث قال ﷺ: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم».

تنوع معبودات المشركين في زمن رسول الله

قال المصنف رحمه الله:

(الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِيْنَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِيْنَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ. وَقَاتَلَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّق بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]).

الشرح: ______

أورد المصنف رحمه الله هذه القاعدة ليبين أن شرك الأولين لم يكن محصورًا في عبادة الأصنام فحسب كما يزعم القبوريون فيفرقون بذلك بين شرك الأولين وشرك المتأخرين، بل كانت المعبودات متفرقة، والآلهة مختلفة، ومن هنا يظهر أن مزاعم القبوريين باطلة، وأن تسمية شركهم بغير اسمه بات مفضوحًا بهذه الدلائل التي أوضحها المصنف رحمه الله.

❖ قوله: (**أن النبي ﷺ**) هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا هو نسب رسول الله ﷺ المتفق عليه عند المؤرخين، نص على هذا النووي في مقدمة كتاب المجموع (ص:٣٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٣٧).

والنبي: مأخوذ من الإنباء وهو الإخبار.

وقيل: مأخوذ من النَّبْوَة وهو ما ارتفع من الأرض.

وقيل: هو الطريق.

وكل هذه المعاني صحيحة؛ فإن نبينا ﷺ أخبر عن ربه، ورفعه الله بذلك، وهو الطريق الهادي إلى الجنة.

انظر: تفسير ابن جرير (٢/ ١٤٠-١٤٢)، وتفسير القرطبي (١/ ٤٣١) [البقرة:٦١].

❖ وقوله: (ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم) أي: برز وخرج.

وهذا القدر من هذه القاعدة يوضح قبح الشرك من جهة أن أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد بخلاف الموحدين فإن معبودهم واحد هو الله سبحانه وتعالى، قال يوسف عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

فالشرك واحد وإن تنوعت المعبودات، فالمشركون الذين بُعث إليهم النبي ﷺ ليسوا مجتمعين على عبادة واحدة، بل هم طرائق متفرقة، وأنواع متعددة، وفرق مختلفة، بيَّنه المصنف بقوله: (ومنهم: من يعبد الشمس والقمر، ومنهم: من يعبد الملائكة، ومنهم: من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم: من يعبد الأشجار والأحجار).

ونزيد على هذا: ومنهم من يعبد هذه جميعًا، ومنهم من يشرك بين نوعين منها، فالمهم أنهم مختلفون ومتفرقون في معبوداتهم.

والله سبحانه يبين عموم التحذير من عبادة غيره كائنًا من كان بلا تخصيص: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا

وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان:١٧-١٩].

انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٥-٩٦).

❖ قوله: (**وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم**)؛ لأنه أُمر بقتالهم جميعًا وإن اختلفوا في عباداتهم؛ لأنهم جميعًا مشركون، ولم يُفَرِّق بينهم، بأن هذا يهودي، وهذا نصراني، وهذا مجوسي، بل قاتل الجميع: الوثنيين، واليهود، والنصارى، والذين يعبدون الملائكة، والذين يعبدون الأولياء والصالحين، فجعل عبادتهم جميعًا كفرًا، فالشرك لا تفريق فيه بين من يعبد رجلًا صالحًا، أو يعبد صنمًا، أو حجرًا، أو شجرًا؛ لأن الشرك هو عبادة غير الله كائنًا من كان، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤]، وقال جلَّ ذكره: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء:٤٨]، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

وبهذا يظهر بطلان دعوى القبوريين من تجويزهم دعاء الصالحين بحجة أن النبي ﷺ قاتل من يعبد الأصنام فقط، وهذه دعوى ردها المصنف رحمه الله بأدلة ساطعة، وبراهين قاطعة.

❖ قوله: (**والدليل قوله تعالى**: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]) أي: والدليل على قتالهم من غير تفريق بينهم على حسب معبوداتهم هو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ فهو عام لكل المشركين لم يستثنِ منهم أحدًا ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وأبي العالية، والربيع، والسدي، وثبت عن مجاهد وقتادة وابن زيد،

والمعنى: قاتلوا المشركين جميعًا حتى لا يوجد شركٌ، وهذا أيضًا عام، أي: حتى لا يكون شركٌ في الأولياء والصالحين، أو شركٌ بالأحجار أو الشمس أو غيرهما، بل حتى يضمحل وينتهي الشرك كله بسائر أشكاله، وباقي نِحَله.

ثم بيَّن المقصود من قتالهم جميعًا بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: قاتلوا سائر الملل المشركة حتى يكون الدين ظاهرًا عاليًا على سائر الأديان، بأن تكون العبادة والطاعة كلها لله، ليس فيها شرك أبدًا لأحدٍ كائنًا من كان.



دليل عبادة فئام من الناس الشمس والقمر

قال المصنف رحمه الله:

(وَدَلِيْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]).

الشرح: ___

❖ قوله: (**ودليل الشمس والقمر**): أي: ودليل عبادة فئام من الناس للشمس والقمر من دون الله ﷻ، وأنه شرك، كالصابئة الذين يعظمون الشمس والقمر وغيرها من الكواكب، هو (قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ أي: ومن آيات الله الكونية الدالة على عظيم قدرته، وتمام عظمته، وربوبيته ووحدانيته، خَلْقُ الليلِ بظلامه، والنهارِ بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران ولا يختلفان، وخَلْقُ الشمسِ ونورَها وإشراقَها، والقمرِ وضياءَه، وتقديرَ منازلِه في فلكه، واختلافَ سيره في سمائه؛ ليُعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقاديرُ الليل والنهار، والجُمَعِ والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق الدينية والدنيوية، وأوقات العبادات الشرعية، والمعاملات الشخصية.

ثم لما كان الشمسُ والقمر أحسنَ الأجرامِ المشاهدَةِ في العالم العلوي والسفلي، نبَّه تعالى على أنهما مخلوقان عَبْدَان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، فقال: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: تطيعون وله توحدون، فلا تشركوا به؛ لأنكم إن أشركتم به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يُشرك به؛ ولهذا قال بعدها مظهرًا غناه سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: عن إفراد العبادة لله وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ أي: لا يفترون، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، وقوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

والمعنى: إن استكبر هؤلاء عن عبادتي فإني غني عن عبادتهم، وقد وُجد من خلقي من عبدني حق العبادة طوعًا ومحبة، كقوله: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

❖ وقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ﴾ آيات جمع آية وهي العلامة، وآيات الله شرعية وكونية:

فأما الشرعية: فهي كالقرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ [البقرة:٩٩]، وقال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٥٢]، وقال سبحانه: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ [البقرة:١٥١].

وأما الكونية: فهي مخلوقاته وذكر منها في هذه الآية أربعًا: ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ فهذه مخلوقات ليست خالقًا، ولهذا قال: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وممن كان من عبدة الشمس: ملكة سبأ وقومها، قال تعالى عن الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

[النمل: ٢٣-٢٦].

ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها.

فقد أخرج مسلم (٨٣٢) عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال: «**صَلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صَلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنَّ حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فَصَلِّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**»، الحديث.



دليل عبادة فئام من الناس الملائكة

قال المصنف رحمه الله:

(وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]).

الشرح:

❖ قوله: (**ودليل الملائكة**) أي: ودليل عبادة فئام من الناس للملائكة من دون الله وأنه شرك، هو:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

يخبر تعالى أنه يُقَرِّع الكفار المشركين بشتى أصنافهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾؟ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم من دوننا؟ فتتبرأ منهم الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ ربنا؛ تنزيهًا لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ لا نتخذ وليًّا دونك نحن نتولاك ولا نتولاهم ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ من دونك ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ أي: أكثر هؤلاء المشركين كانوا مقرين بالجن، يزعمون أنهم بنات الله، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا.

وقيل: أراد أن شياطين الجن زينوا لهم عبادة الملائكة والأصنام وأضلوهم عن الحق، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة غير الله، كما في قوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٧-١١٨].

ثم قال الله عقبها: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا﴾ بالشفاعة، لا الداعي ولا المدعو ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالعذاب، أي: أنهم عاجزون، لا نفع عندهم ولا ضر ﴿وَنَقُولُ﴾ توبيخًا وتقريعًا ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بعبادتهم غيري وجعلهم لي شركاء ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ فقد وردتموها فبئس المورد والقرار.

انظر: تفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير، والسعدي لهاتين الآيتين.

وقال تعالى إخبارًا عن الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

❖ وقوله: (الملائكة) جمع مَلَكٍ، مأخوذ من الألوك وهي الرسالة، ويُجمع على ملائك بحذف الهاء، كما في النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٥٩).

وهم عالم غيبي خلقه الله من نور، لهم أعمال ووظائف مختلفة، وأجسام متفاوتة، لا يعصون الله ما أمرهم.

قال الله تعالى فيهم مثنيًا عليهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]، وقال: ﴿يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]؛ لأنهم ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال في تفاوت خلقتهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

وأخرج مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «خُلِقَتْ الملائكة من نور».

وقد تقدم في الفقرة السابقة ذكر شيء من ثناء الله عليهم، وتزكيته لهم، بأنهم حققوا عبادته، وقاموا بكمال طاعته، من سجود وركوع، وتسبيح وذكر لله عز وجل، من غير فتور ولا نفور، أو تعب ونصب، أو كلل وملل.



دليل عبادة فئام من الناس الأنبياء

قال المصنف رحمه الله:

(وَدَلِيلُ الأَنبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠].(١٥)).

الشرح: ________________________________

❖ قوله: (**ودليل الأنبياء**) أي: ودليل عبادة فئام من الناس للأنبياء وأن عملهم هـذا يعتبر شركًا هو: (**قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة -على الصحيح- مخاطبًا نبيه عيسى عليه السلام وقومه يسمعون ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: هل أنت أمرت الناس أن يتخذوك وأمك معبودَيْنِ تُعبَدان من دون الله؟ ﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام مجيبًا ربه ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهًا لك يا رب وتعظيمًا أن أفعل ذلك أو أتكلم به، فإنه ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ لأني عبدٌ مخلوق، وأمي أمَةٌ لك، وكيف يكون للعبد والأمة ادّعاء ربوبية؟ ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ﴾ حقيقة ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ فإنه لا يخفى عليك شيء، فأنت عالم به؛

---

(١٥) في مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٢٠١) الاكتفاء بالآية الأولى، وجعل الآية الثانية دليلًا في الملائكة دون آية سبأ [٤٠-٤١].

لأنـك ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ أي: مطلـع عـلى مـا أضـمَرَتْهُ نفسـي ممـا لم أَنْطِـق بـه ولم أُظْهِـره بجوارحي، فكيف بما قد نَطَقْتُ به وأَظْهَرْتُه بجوارحي؟ فلا شك أنك تعلمـه ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي: ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليـه؛ لأني إنـما أعلـم مـن الأشـياء مـا أعلمتنيه، و ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ أي: أنت وحدك المتفرد بعلم خفيّات الأمور التي لا يطلع عليها سواك، ولا يعلمها أحدٌ غيرك.

وفي هذه الآية: تهديد للنصارى القائلين: بأن عيسى إلهٌ، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وتـوبيخ وتقريع لهم على رؤوس الأشهاد، وأن عيسى عليه السلام أنكر عبادتهم له ولأمِّـه؛ لأنـه شرك منـافٍ للتوحيد الـذي كـان يـأمرهم بـه، حيـث قـال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٧].

وفي مسند أحمد (١/ ٢٠١) بسند حسن عن أم سـلمة رضي الله عنها في قـصة هجـرتهم إلى الحبشة، وهو حديث طويل وشاهدنا منه أنها قالت: قال عمرو بن العاص: والله لأنبئنهم غـدًا عيـبهم عندهم، ثم أستأصل به خضراءهم، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة -وكان أتقى الرجلين فينا-: لا تفعل فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنـه أنهـم يزعمـون أن عيسى ابن مريم عبدٌ، قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأَرْسِل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت: فأرسـل إلـيهم يـسألهم عنـه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم، فقـال بعـضهم لـبعض: مـاذا تقولـون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نبينا كائنًا في ذلك ما هو كـائن، فلـما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقـول فيـه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاهـا إلى مـريم العـذراء البتـول،

قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا، فأنتم سيوم بأرضي، الحديث.

وقد أخبر الله بما كان عليه عيسى عليه السلام من الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك وبيان خطره، فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والدليل الثاني على عبادة فئام من الناس الأنبياء هو:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، أي: لا ينبغي أن يحصل من بَشَرٍ مَنَّ اللهُ عليه بالوحي والكتاب والنبوة أن يأمركم أيها الناس بـ﴿ أَنْ تَتَّخِذُوا﴾ مِنْ دون الله ﴿ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ ؛ لأن هذا كفر، فهو ممتنع عن الأنبياء الدعوة إلى عبادة أنفسهم، أو عبادة غيرهم، حيث قال سبحانه على وجه التعجب والإنكار: ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ؟ يعني: أن هذا الرسول لا يقول هذا أبدًا، ولا يمكن أن يصدر عنه شيء من ذلك؛ لأني اصطفيته بالحق.

وقد قيل: إن سبب نزولها أن اليهود والنصارى من أهل نجران لما اجتمعوا برسول الله ﷺ قالوا له: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني**»، فأنزل الله هذه الآيات، ولا يصح.

❖ وقوله: (**الأنبياء**) جمع نبي، مأخوذ من الإنباء، والظهور كما تقدم في أول هذه القاعدة.

والأنبياء كلهم من رجال الإنس لا الجن، وليس فيهم امرأة، خلافًا لابن حزم الذي زعم أن مريم وآسية وأم موسى نبيات.

انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦).

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف:١٠٩]، ونظيرها في سورة [النحل:٤٣]، وسورة [الأنبياء:٧].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١].

وإن الجن لما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ القرآن قالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠]، فذكروا موسى عليه السلام، ولم يذكروا أن فيهم أنبياء من جنسهم، إذ لو كان فيهم أنبياء لأحالوا إليهم.

والأنبياء بعثهم الله إلى أقوامهم لأمرهم بالتوحيد ونهيهم عن الشرك، وتبليغ شرع الله لهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وجعل الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ خاتمهم وآخرهم، مع ما خصَّه به من الفضائل المتكاثرات، والمناقب الوافرات، وأنواع المكرمات -زاده الله شرفًا وتكريمًا-.

فإذا علمت أن الأنبياء مخلوقون وليسوا خالقين أيقنت بأنهم يُصَدَّقُون ولا يُكَذَّبون، ويُتَّبعون ولا يُعبدون.



دليل عبادة فنام من الناس الصالحين

قال المصنف رحمه الله:

(وَدَلِيْلُ الصَّالِحِيْنَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ [أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾](١٦) [الإسراء: ٥٦-٥٧]).

الشرح: ــ

❖ قوله: (**ودليل الصالحين**) أي: ودليل عبادة فئام من الناس للصالحين من دون الله في زمن رسول الله ﷺ، والدليل أيضًا على أن عبادتهم شرك مثل عبادة الأصنام هو:

❖ قوله: **قوله تعالى**: ﴿قُلِ﴾ أي: يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله سواه ﴿ٱدْعُواْ﴾ أيها القوم ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم أرباب وآلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ عند ضرٍّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون نفعكم، أو كشف ما حلَّ بكم، أو تحويله إلى غيركم؟ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ أي: رفع الضر من قحط أو جوع أو عدو أو مرض ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: ولا يملكون أيضًا تحويل الضر عنكم إلى غيركم، أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر، وإنما يملك ذلك ويقدر عليه خالقكم وخالقهم.

والمعنى: أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر.

---

(١٦) ما بين المعقوفتين زيادة من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٢٠٢).

أيها المشركون إنَّ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ وفي قراءة ابن مسعود: ﴿ تَدْعُون﴾ أي: من الأنبياء والصالحين والملائكة وغيرهم كيف كان حالهم مع ربهم؟ كانوا ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ القربة والزلفى، أو الدرجة العليا في الجنة، أو كل ما يقرب إلى الله ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أي: أي الوسائل تكون أقرب إلى ربهم، أو أنهم يتنافسون أيهم يكون أعظم في القُرْبِ من ربهم، أو أي الفريقين أقرب إلى الله بالقيام بالوسيلة الصحيحة، هل الصالحون أو المشركون؟ الصالحون؛ لأنهم أهل إيمان وصلاح ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾ أي: جنته بعملهم الخير ﴿ وَيَخَافُونَ﴾ من كل ما يوصلهم ﴿ عَذَابَهُۥٓ﴾ أي: ناره، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ ﴾ يا محمد ﴿ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ أي: يُطلب منه الحذر والاتقاء، ويخاف من حصوله ووقوعه.

❖ وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ أخرج البخاري(٤٧١٤) في تفسيرها عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن المراد بهم الملائكة وعيسى وأمه وعزير والشمس والقمر.

قلت: أما الشمس والقمر فلا يَرِد هنا؛ لأنه قال في وصفهم: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ وهذا إنما يكون ممن يعقل، والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير، والسعدي لهاتين الآيتين.

وقوله:(الصالحين) جمع صالح، وهو كل من صلحت سريرته وعلانيته، قاله ابن جرير وابن كثير.

وقال الزجاج: هو كل من قام بحق الله وحق عباده، كما في المجموع للنووي(٣/ ٤٥٨) .

وقال الجرجاني في التعريفات(ص:١٧٢) : هو الخالص من كل فساد.

والآيتان اللتان أوردهما المصنف صريحتان في أن قومًا من المشركين كانوا يعبدون غير الأصنام، يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين من الإنس والجن، وبيَّن تعالى أن عبادتهم لهؤلاء لا تنفعهم؛ لأنهم عباد لله، وفقراء إليه، والله الغني الحميد الذي يستحق العبادة.



الدليل القرآني في عبادة فئام من الناس الأشجار والأحجار

قال المصنف رحمه الله:

(وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:١٩-٢١] الآية).

الشرح:

❖ قوله: (**ودليل الأشجار والأحجار**) أي: والدليل على أن عبادة الأشجار والأحجار كانت موجودة في زمن النبي ﷺ، وأن هذا شرك مثل عبادة الأصنام (**قوله تعالى:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ **الآيات**).

يقول تعالى مقرِّعًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم البيوت لها مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ أي: أخبروني أيها المشركون عن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ﴾ ما حالها بالنسبة للآيات العظيمة من الإسراء والمعراج، وهل نفعتكم بشيء أو ضرَّتكم؟ فهو استفهام للاستخفاف بها.

❖ وقوله: ﴿ٱللَّٰتَ﴾ مشتقة من اسم الله، وهي صخرة بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطائف أو بنخلة له أستار وسدنة، وحوله فناء معظَّم عند أهل الطائف -وهم ثقيف ومن تابعها- يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

وقرئ: ﴿اللَّاتَّ﴾ بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلًا يَلُتُّ -أي: يخلط- للحجيج في الجاهلية السويق -هو: الشعير أو البر يُحَمَّص، ثم يُطْحَن، ثم يُخْلَط بتمر أو سمن-، فلما مات

عكفوا على قبره فعبدوه، كما في صحيح البخاري(٤٨٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

❖ وقوله: ﴿ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ مشتقة من الأعز أو من اسم الله العزيز، وهي شجيرات، روي عن مجاهد، عليها بناء وأستار بنخلة – وهي بين مكة والطائف – كانت قريش يعظمونها.

وقيل: هي بيت بالطائف كانت ثقيف تعبده، صح عن ابن زيد.

وقيل: كان حجرًا أبيض، روي عن ابن جبير.

❖ وقوله: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ﴾ مشتقة من اسم الله المنان.

وقيل: من مِنى؛ لكثرة إراقة الدماء عندها.

وقيل: من مَنِيَ الله الشيء: إذا قدره.

وهي صخرة كبيرة في مكان يقع قريبًا من جبل قُدَيد بين مكة والمدينة، وكانت لخزاعة والأوس والخزرج، وكانوا يُحرمون من عندها للحج، ويعبدونها من دون الله.

وقيل: بيت بالمشلل كان يعبده بنو كعب، صح عن ابن زيد.

وزعم بعضهم أنها أسماء حجارة كانت في جوف الكعبة تُعبد، وهو غريب، والأول أشهر، والله أعلم.

وهذه الثلاثة الأصنام هي أكبر أصنام العرب، وعند التأمل في أسمائها تجدها مؤنثة؛ لدعواهم – ظلمًا وعدوانًا وكذبًا وزورًا وتخرصًا – أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، ولهذا قال بعد ذكرها رادًّا:﴿ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ أي: المتأخرة الوضيعة المقدار،﴿ أَلَكُمُ ﴾ تحكمًا بالباطل﴿ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ﴾ سبحانه﴿ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ هذا استفهام إنكاري أي: أتجعلون لكم ما تحبُّون وهو الذكر، وتجعلون له الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهنّ، حيثُ تقولون: الملائكة بنات الله.

وقيل: أتستجيزون نسبة الذكر لكم والإناث لله، ثم تشركون معه هذه الأصنام المؤنثة؟!.

قلت: وهو قول وجيه يتناسب مع سياق الآيات.

ثم أبان بطلان هذا التقسيم بقوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي: جائرة عوجاء منقوصة بعيدة كل البعد عن العدل والاستقامة والتمام ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: أصنامهم اللات والعزى ومناة وأشباهها ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ من تلقاء أنفسكم ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة وبرهان على ألوهيتها ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ الحسن بآبائهم من غير مستند عن الله وعن رسوله ﷺ ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ أي: وأيضًا يتبعون أهواء نفوسهم وحظوظها في الرئاسة، فهذا الذي صرفهم عن الهدى وقبوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ وذلك بإرسالِ الرسل بالبراهين الساطعة، والحجج القاطعة، التي تنير طريقهم، وتستبصر به أفهامهم: أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار.

انظر: تفسير ابن جرير، والبغوي، وابن كثير لهذه الآيات.



الدليل النبوي في عبادة فنام من الناس الأشجار

قال المصنف رحمه الله:

(وَحَدِيثُ أَبِيْ وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه ، خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. [فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسى ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾](١٧) [الأعراف:١٣٨-١٣٩]») .

الشرح: ________________

❖ قوله: (**وحديث أبي واقد الليثي** رضي الله عنه) الخ، هذا الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، والترمذي (٢١٨٠)، وعبدالرزاق (٢٠٧٦٣)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٠١)، وابن جرير في التفسير (٩/ ٣١-٣٢)، والطبراني في الكبير (٣٢٩٠، ٣٢٩٤)، كلهم من طريق سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

وسنان بن أبي سنان أخرج له الشيخان اعتمادًا، وهذا يعتبر توثيقًا، ولذا وثقه الحافظ في التقريب وفي الفتح عند حديث رقم (٥٧٧٥) .

---

(١٧) ما بين المعقوفتين زيادة من الدرر السنية (٢/ ٢٦) .

وانظر: مقدمة الفتح (ص:٥٤٨-٥٤٩)، وصححه العلامة الألباني في ظلال الجنة رقم(٧٦).

تنبيه: الحديث باللفظ الذي أورده المصنف هو لفظ الطبراني.

❖ قوله: (**أبي واقد الليثي**): هو الحارث بن مالك، وقيل: الحارث بن عوف، وقيل: عوف ابن الحارث، صحابيٌّ مشهور بكنيته من مسلمة الفتح، مات سنة ٦٨هـ -على الصحيح- بمكة، ودفن بمقبرة المهاجرين، وله ٨٥ سنة، روى له الجماعة.

❖ وقوله: (**حُنَيْن**): وادٍ بين مكة والطائف، قاتل فيه رسول الله ﷺ قبيلة هوازِن وثقيف.

❖ وقوله: (**حُدَثاءُ عهدٍ بكُفْرٍ**): قريبو عهد بكفر.

❖ وقوله: (**يعكِفون**): يقيمون عندها ويعظِّمونها ويتبركون بها، والاعتكاف لغة: الإقامة على الشيء ولزومه.

❖ وقوله: (**ينوطون أسلحتهم**): يعلِّقونها عليها طلبًا للبركة.

❖ وقوله: (**يقال لها: ذات أنواط**) هو اسم هذه الشجرة بعينها. وأنواط جمع نَوْطٍ: وهو مصدرٌ سُمِّي به المنوطُ، سمِّيت بذلك لكثرة ما يناط ويعلق بها من السلاح لأجل التبرك.

❖ وقوله: (**فقلنا**) في رواية أحمد وغيره: فقلت: يا نبي الله اجعل لنا. وهي تدل على أن القائل هو أبو واقد رضي الله عنه.

❖ وقوله: (**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**): سألوه أن يجعل لهم شجرة مثلها يعلقون عليها أسلحتهم طلبًا للبركة.

وهذه بلية التشبه والتقليد وهي أعظم البلايا، فلذا أنكر عليهم النبي ﷺ عند سماعه ذلك منهم.

❖ وقوله: (الله أكبر): أي: أجلّ وأعظم، فهي صيغة استعظام وتعجب.

هذه رواية أحمد والأكثرين، وأما رواية الترمذي فـ: «سبحان الله». وكلاهما يدلان على التعجب والاستعظام.

❖ وقوله: (السُّنن) بضمِّ السين: الطرق، أي: سلكتم كما سلك من قبلكم الطرقَ المذمومة.

❖ وقوله: (إسرائيل): هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام.

❖ وقوله: (سُنن من كان قبلكم): بضم السين طرُقهم، ويجوز فتح السين بمعنى طريقِهم.

❖ قوله ﷺ: (إنها السنن) أي: الطرق التي سلكها الناس، ويقتدي بعضهم فيها ببعض، فالسبب الذي حملكم على هذا هو: اتباع سنن الأولين والتشبه بالمشركين.

❖ قوله: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩]، قرأ النبي ﷺ الآية استدلالًا بها على بطلان دعواهم، وأن سؤالهم لشجرة ينوط بها أسلحتهم كما يفعل المشركون، هو عين ما سأله بنو إسرائيل من موسى عليه السلام، بأن يجعل لهم إلهًا دون الله يعبدونه ويرجونه، فأجابهم موسى بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عظمةَ الله، ووَخِيمَ سؤالكم، وحقيقةَ ما طلبتموه ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ العُكوف على هذه الأصنام، ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: الله مُهْلِكٌ ما هم فيه من العمل ومُفْسِدُه، ومُخَسِّرُهم فيه، بمجازاتهم عليه العذاب المهين ﴿وَبَـٰطِلٌ﴾ أي: مضمحل وذاهب ﴿مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتهم للأصنام وعكوفهم عندها؛ لأنه غير نافعهم ما كانوا يعبدونه عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم، ولا مدافع عنهم بأسَ الله إذا نزل بهم، ولا منقذهم من عذابه إذا عذبهم في القيامة.

انظر: تفسير ابن جرير والبغوي وابن كثير وغيرهم لهذه الآية.

والحاصل: أن هذا الحديث فيه شاهد واضح على أن المشركين - الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ- منهم من يعبد الأشجار، وأن المشركين اتخذوا ذات أنواط وحاول بعض الصحابة الذين لم يتمكن العلم في قلوبهم، وكانوا حديثي عهد بكفر أن يتشبهوا بهم، فحماهم الله بنبيه ﷺ، فحذرهم فقبلوا تحذيره ولم يتمثلوا بالمشركين.

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر أبو واقد الليثي رضي الله عنه عن واقعةٍ فيها عَجَبٌ وموعظة، وهي: أنهم غزوا مع رسول الله ﷺ قبيلة هوازن وثقيف، وكان دخولهم في الإسلام قريبًا فخفي عليهم أمر الشرك.

فلما رأوا ما يصنع المشركون من التبرك بالشجرة طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم شجرة مثلَها، يُعلقون بها أسلحتهم، ويتبركون بها، ويقيمون عندها.

فكبَّر النبي ﷺ استنكارًا واستعظامًا لهذه المقالة، وأخبر أنها تُشْبِهُ مقالة قوم موسى عليه السلام له لما رأوا من يعبد الأصنام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وأن هذا جريانٌ على طريقتهم ومسالكهم.

ثم أخبر ﷺ أن هذه الأمة ستتبع طريقة اليهود والنصارى، وتسلك مناهجَهم، وتفعل أفعالهم، وهو خبرٌ معناه الذم والتحذير من هذا الفعل المشين، الذي يجانب سبيل النبيين وأتباعهم الصالحين.

ما يستفاد من الحديث في باب التوحيد:

١- أن التبرك بالأشجار والأحجار ونحوهما شركٌ في العبادة، كشرك عبادة الأصنام.

٢- أن سبب عبادة الأصنام هو تعظيمُها، والعكوفُ عندها، والتبرك بها.

٣- النهيُ عن التشبه بأهل الجاهلية واليهود والنصارى، إلا ما دلَّ الدليل على أنه من ديننا.

٤- أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء؛ لأن النبي ﷺ جعل طِلْبَتَهم كطِلْبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سمُّوها ذات أنواط.

٥- عظيم الفتنة بعبادة غير الله ﷻ حيث يزينونها ويزخرفونها.

٦- فيه الرد على الصوفية وعباد القبور الذين يزعمون ألَّا شرك بعد موت النبي ﷺ.

٧- أن الاشتباه في باب الشرك إذا كان قد وقع في زمن النبي ﷺ، فمن جاء بعدهم مع بُعْدِ العهد من زمن النبوة أولى بالاشتباه فيه؛ لكثرة جهلهم، وعظيم نفرتهم، ووجود من يزينه لهم.

٨- أن هذا الحديث يتضمن تفسير لا إله إلا الله.

٩- أن من اتخذ شيئًا من المخلوقات للبركة فقد اتخذه إلهًا مع الله سبحانه.

١٠- أن التعلق بالأشجار ونحوها يعتبر منافيًا لكلمة التوحيد.

خلاصة القاعدة الثالثة:

أن النبي ﷺ بُعث إلى قوم تنوع شركهم، وافترقوا في عباداتهم، فقاتلهم ﷺ جميعًا ولم يفرق بين من يعبد الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين من الإنس والجن، أو الأحجار والأشجار.



القاعدة الرابعة

قال المصنف رحمه الله:

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ:

أَنَّ مُشْرِكِيْ زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الْأَوَّلِيْنَ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلِيْنَ يُخْلِصُوْنَ للهِ فِي الشِّدَّةِ، وَيُشْرِكُوْنَ فِي الرَّخَاءِ، وَمُشْرِكِيْ زَمَانِنا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

فَعَلَى هَذَا: الدَّاعِيْ عَابِدٌ، وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ أَجْمَعِيْنَ.



بيان غلظ شرك المتأخرين

قال المصنف رحمه الله:

﴿**القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِيْنَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِيْنَ يُخْلِصُوْنَ للهِ فِي الشِّدَّةِ، وَيُشْرِكُوْنَ فِي الرَّخَاءِ، وَمُشْرِكِي زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ**﴾.

الشرح: ــ

أورد المصنف رحمه الله هذه القاعدة ليبين للقارئ المستبصر في أمر دينه، الباحث عن الحق: الفرق الواسع، والبون الشاسع، بين شرك الأولين وشرك المتأخرين، وأن شرك المتأخرين أشد وأشنع وأقبح؛ لأنه في الشدة والرخاء، والضراء والسراء، بخلاف شرك الأولين فهو في حال الرخاء والسراء دون الشدة والضراء.

وما تضمنته هذه القاعدة وإن كانت تدعو للدهشة والاستغراب، والتعجب وتوتر الأعصاب، عند من لم يقف على حقيقة الأمر، ولم يعرف صدق الخبر، إلا أن من أنصف من نفسه، وتجرد لإصابة الحق، وتمعن في دلائل المصنف الصريحة، ونصوص الوحيين الفصيحة، لانزاحت دهشته، وزال استغرابه، وارتفع تعجبه، وهدأت أعصابه، وهو يرى الحق عيانًا لا لُبس فيه ولا غشش، ولا تدليس ولا غبش، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، وقال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

وإن لجوء المشركين عند الشدائد إلى الله ليبين عظيم أمر التوحيد.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد (ص:٥٣): التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه.

فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عُذِّب به المشركون في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة.

ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل، هذه سنة الله في عباده.

فما دُفِعَت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد.

فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها، وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق. اهـ.

❖ قوله: (ومشركي زماننا) أي: المشركون في زمانه في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، وفي قروننا المتأخرة الذين تعلقوا بقبور الأنبياء والصالحين تعلقًا كبيرًا نظير تعلق المشركين الأوائل بأصنامهم، بل وأشد، وذلك: بدعاء أهلها، والاستغاثة عند الشدائد بها، والعكوف عندها، والإقامة في سوحها، وتحديد الزيارات السنوية في الاجتماع حولها، والذبح والنذر لها، والحلف بها، والتبرك بترابها، وطلب الشفاعة والقربة والزلفى منها، وغير ذلك مما يضاهي ما عليه مشركو قريش وغيرهم، وزيادة.

❖ قوله: (أغلظ شركًا من الأولين) أي: أعظم شركًا وأشد وأقبح وأشنع من شرك الأولين.

ثم ذكر المصنف رحمه الله برهانه على ذلك فقال: (لأن الأولين يخلصون لله في الشدة، ويشركون

في الرخاء) أي: أن المشركين الأوائل كان إذا اشتد بهم الأمر، وعظمت عليهم الكربة، وكبرت فيهم الضائقة، وأثر عليهم الضر، يخلصون العبادة لله، ويتوجهون إليه، ويخضعون بين يديه سبحانه لا لغيره؛ لأنهم يقرون بيقين جازم أن الذي بيده النفع والضر، وإليه يُرجع التدبير والأمر، هو الله تبارك وتعالى، لا ينجيهم إلا هو جلَّ في علاه، ولا يكشف عنهم كربتهم سواه سبحانه.

ودلائل هذا من القرآن كثير، وهو نبأ العليم الخبير، التي لا تخفى عليها خافية، المطلع على السر كالعلانية، وقد أورد المصنف دليلًا واحدًا كما سيأتي ونتبعه بغيره؛ لتستيقن الخبر.

❖ قوله: (**ومشركي زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة**) أي: وأما مشركو هذا الزمان فمستمر شركهم ومتواصل في الرخاء والشدة، لا يخلصون لله لا في الرخاء ولا في الشدة، بل كلما اشتد بهم الأمر، وعظمت عليهم الكربة، وكبرت فيهم الضائقة، وأثر عليهم الضر، اشتد شركهم، وتردد نداؤهم للأنبياء والصالحين من دون الله رب العالمين، بخضوع وذل وخشوع، فلهذا صار شركهم أغلظ ممن سبقهم.



الدليل على غلظ شرك المتأخرين

قال المصنف رحمه الله:

(وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]).

الشرح: ________________

فإن قيل: وما هو الدليل على أن المشركين الأوائل يخلصون في الشدة، ويشركون في الرخاء؟.

قلنا: أدلة كثيرة، أورد المصنف منها دليلًا واحدًا على وجه الاختصار، وإن شاء الله سنذكر جملة أخرى.

❖ قوله: (**والدليل**) أي: على أن المشركين في الشدة يخلصون لله (**قوله تعالى:** ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾).

❖ قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا ﴾ يعني: المشركين ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أي: الباخرة والسفينة وخافوا أن يغرقوا ويهلكوا في البحر عند تلاطم الأمواج ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ الذي بيده الأمر كله مقبلين عليه وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لم يشركوا به أحدًا، بل وحدوه، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودية، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم.

فهذا حال المشركين الأوائل من قريش في الشدة إذا نزلت بهم وأحاطت، لكنهم في الرخاء كيف يكون حالهم؟ ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ أي: خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم بعد دعائهم له،

وتضرعهم بين يديه، حتى صاروا ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ إذا هم يعودون إلى شركهم في عبادة الله، فيدعون آلهتهم، ويجعلون أصنامهم أربابًا مع الله سبحانه.

وروي عن عكرمة أنه قال: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر وقالوا: يا رب، يا رب. اهـ من تفسير البغوي.

فظهر بهذا: أن المشركين لهم حالان:

الأول: إخلاصهم لله وذلك في وقت الشدة والبلاء.

الثاني: شركهم بالله في وقت الرخاء والسراء.

بخلاف مشركي زماننا ممن تقمص الإسلام -زورًا وبهتانًا-، فإنه لاجئ منكسر طريح فقير لغير الله في الشدة والرخاء، فبان أن شركهم أغلظ وأقبح من شرك الأولين.

ومن أقوال القبوريين المنشورة:

١- قول البوصيري في بردته:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

٢- وقوله أيضًا في الهمزية:

الأمان الأمان إن فؤادي ... من ذنوب أتيتهن هراء
هذه علتي وأنت طبيبي ... ليس يخفى عليك في القلب داء

٣- قول من يقول مخاطبًا لابنِ عُجَيلٍ:

هاتِ لي منك يا ابن موسى إغاثه ... عاجلًا في سيرها حثاثة

٤- وقال آخر:

يا سيدي يا صفي الدين يا سندي ... يا عمدتي بل ويا ذخري ومفتخري
أنت الملاذ لما أخشى ضرورته ... وأنت لي ملجأ من حادث الدهر

قال الإمام ابن باز رحمه الله كما في مجموع فتاويه (١/ ٢٦-٢٧): أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين:

إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية.

والثانية: شركهم في الرخاء والشدة، كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم، ورأى ما يفعلون عند قبر الحسين والبدوي وغيرهما في مصر، وعند قبر العيدروس في عدن، والهادي في اليمن، وابن عربي في الشام، والشيخ عبد القادر الجيلاني في العراق، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة وصرفوا لها الكثير من حق الله عز وجل، وقَلَّ من ينكر عليهم ذلك ويبين لهم حقيقة التوحيد الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ، ومَنْ قَبْلَه من الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأله سبحانه أن يردهم إلى رشدهم، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى، وأن يوفق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشرك والقضاء عليه ووسائله، إنه سميع قريب. اهـ.

وانظر: الدرر السنية (١٧/ ١٣٣).

واعلم: بأن هذه الآية التي ذكر المصنف رحمه الله لها نظائر، من ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧].

٢- وقوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤].

٣- وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٢٢-٢٣].

٤- وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠-٤١].

٥- وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢].

٦- وقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٥٣-٥٥].

فهذا حال المشركين الأولين عند الشدائد يخلصون لله العبادة، ويعلمون أنه لا ينجيهم إلا هو سبحانه، وإذا جاء الرخاء وقعوا في الشرك بالله بعبادة آلهتهم وأندادهم.

وهناك برهان آخر يبين أيضًا أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، وهو: ما ذكره المصنف رحمه الله في كشف الشبهات، حيث قال:

إن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة.

أو يدعون أشجارًا، أو أحجارًا مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل: الخشب والحجر، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به. اهـ.

وهناك برهان ثالث -نختم به- يبين ما تقدم وهو ما سبق نقله عن الإمام ابن باز رحمه الله حيث قال: أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين:

إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية. اهـ المراد.

وذلك كالقدرية، وغلاة الصوفية في نجد والحجاز واليمن ومصر وغيرها، وغيرهما.

انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٠) و(٣/ ٩٨)، والدرر السنية (١/ ٤٩٦) و(٣/ ٦٥-٦٦ و٣٠٧)، و(١٠/ ٣٨٣)، و(١٢/ ٧١)، (١٧/ ٢٠٥)، ومجموع فتاوى العلامة ابن باز (٢/ ٢١) و(٥/ ٣٣٥) و(١٣/ ٣٣٠)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٧٠).



بيان أن من دعا غير الله فقد عبده

قال المصنف رحمه الله:

([فَعَلَى هَذَا: الدَّاعِيْ عَابِدٌ، وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ أَجْمَعِيْنَ][١٨]).

الشرح: ـــــــــــــــ

يبين المصنف رحمه الله في هذه الفقرة أن الداعي لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله يعتبر عابدًا لمن دعاه، قد اتخذه معبودًا من دون الله؛ لأن القبوريين ينكرون أنهم يعبدون غير الله، وينكرون أن دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عبادة لغير الله، ويزعمون أن ما هم عليه هو من محبة الأنبياء والصالحين وتعظيمهم لا غير، لكن ما أورده المصنف رحمه الله عليهم لدليل ظاهر على بطلان مزاعمهم، وزيف ادعاءاتهم؛ فإن محبة الأنبياء والصالحين لها حدٌّ لا يتجاوزه العبد؛ لأنه متى ما تجاوز وقع في عبادة الطاغوت.

والصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا أكثر هذه الأمة محبة وتعظيمًا لرسول الله ﷺ، ومع ذلك لم يدعوه من دون الله وهو حي فكيف وهو ميت؛ لأنه ﷺ قد حذرهم أشد تحذير من ذلك، ولهذا أمثلة يطول المقام بذكرها، نشير لبعضها:

---

(١٨) ما بين المعقوفتين زيادة من الدرر السنية (٢/ ٢٦).

١ - قوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»، أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

٢ - لما جاءه ناس فقالوا له: يا خيرنا وابن خيرنا، ويا سيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تعالى، أنا محمد بن عبد الله، عبده ورسوله**»، أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه بسند صحيح.

٣- قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أجعلتني لله عدلًا -أي: مثلًا- قل: ما شاء الله وحده**».

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣) بلفظ: «**جعلت لله ندًّا**».

❖ وقوله: (**فعلى هذا: الداعي عابد**) أي: فعلى ما تقدم بيانه من أن دعاء المشركين لله في الشدة يعتبر عبادة، فكذلك من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد عبده.

فإن قيل: فما الدليل على هذا؟.

قلنا: أورده المصنف رحمه الله، وهو قوله: (**والدليل: قوله تعالى**: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]).

والمعنى: وأيُّ عَبْدٍ أضل من عَبْدٍ يدعو من دون الله آلهة لا تُجيب دعاءه أبدًا، ولا تعطيه ما طلبه منها ولو بقي يدعوه إلى قيام الساعة؛ لأنها حجر أو خشب أو أموات، ونحو ذلك، والاستفهام هنا للنفي، وهو أبلغ من النفي المجرد؛ لأنه مُشْرَب معنى التحدي، ثم قال سبحانه مبينًا ضياع دعائهم وذهابه سدى ﴿وَهُمْ﴾ أي: آلهتهم التي كانوا يدعونها من الأصنام، أو الكواكب، والملائكة، وصالحي الإنس والجن كانوا ﴿عَن دُعَآئِهِمْ﴾ أي: عن دعاء المشركين

لهم ﴿غَٰفِلُونَ﴾ لا يشعرون بدعاء من دعاهم؛ لأنهم إما لا يسمعون، أو لا ينطقون، أو لا يعقلون، أو لا يملكون شيئًا، فبطل بذلك كل تَعَلُّقٍ بها.

وهذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقُبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادة من خلقهم الذي جميع ما بهم من نعمته، وتجافيهم عن عبادة من به استغاثتهم عندما تنزل بهم المصائب والكرب.

ويظهر المعنى الذي أراده المصنف رحمه الله الآية التي تليها، وهو قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي: وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي كانوا يدعونها في الدنيا أعداء ألداء لهم ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي: جاحدين لهم منكرين دعاءهم؛ لأنهم يتبرءون منهم ويقولون: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا.

فلا يجد هذا المشركُ إلا نكدًا في الدارين، إذ لم يحصل على إجابةٍ في الدنيا، وتُجحد عبادته في الآخرة أحوج ما يكون إليها.

وقيل في معناها: إن كلًّا من الآلهة والعابدين ينقلب عدوًّا للآخر، والمعنى الأول أظهر؛ لما قبله وما بعده من عود الضمير إلى الآلهة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٦- ١٦٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [يونس: ٢٨- ٢٩]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١- ٨٢]،

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣- ١٤].

ويؤيد المعنى الأول: قول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

فإن قيل: وما وجه استدلال المصنف رحمه الله بالآية؟.

قلنا: وجه الاستدلال بالآيتين على ما قصده المصنف، هو: أن الله تعالى قال في الآية الأولى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ثم قال في الآية التي تليها: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾، فسمى دعاء غير الله عبادة.

ويؤيده: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقوله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ الآية المتقدمة، أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧)، وأبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨) بسند صحيح من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

ثم ختم المصنف رحمه الله رسالته الماتعة، وقواعده المأخوذة من الوحيين النافعة، بقوله:

(**والله سبحانه أعلم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين**).

أي: والله المنزَّه عن كل عيب ونقص هو: أعلم بالمقاصد والنوايا، والظواهر والبواطن، والجهر والخفايا.

❖ قوله: (وصلى الله) الصلاة في اللغة: الدعاء، وقد نوزع في ذلك كما في بدائع الفوائد (١/ ٣٠).

وأحسن ما قيل في معناها الشرعي قول أبي العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

وأما من الخلق: فطلب الثناء من الله ﷻ على نبيه ﷺ.

فيكون المعنى: واثنِ يا رب على محمد في الملأ الأعلى، وهذا يقتضي إعلاء ذِكْرِه، وإظهار دعوته، وإِبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمَّته، وتضعيف أجره ومثوبته.

❖ قوله: (محمد) هو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، هذا ما اتفق عليه المؤرخون في نسبه.

انظر: مقدمة كتاب المجموع (ص: ٣٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٣٧).

قال العلامة النووي رحمه الله في شرح مقدمة مسلم (١/ ٤٤): وسمي نبينا محمد ﷺ محمدًا لكثرة خصاله المحمودة، كذا قاله ابن فارس وغيره من أهل اللغة، قالوا: ويقال لكل كثير الخصال الجميلة: محمد ومحمود والله أعلم. اهـ.

اصطفاه الله سبحانه لحمل رسالته، وتبليغها للثقلين كافة، ففي مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

❖ قوله: (وعلى آله) أي: وصلِّ على آل محمد، وهم أزواجه وذريته.

وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة.

وقيل: أتباعه إلى قيام الساعة، روي موقوفًا على جابر رضي الله عنه بسند ضعيف، واختاره الأزهري، واستظهره النووي في شرح مسلم (٤٠٥).

وقيل: الأتقياء، روي مرفوعًا بسند واهٍ.

قلت: الأظهر أن المراد بآله عند الإطلاق هم الذين تحرم عليهم الصدقة، وأزواجه، وذريته؛ لثبوت دليله عن النبي ﷺ، ومن ذلك:

قوله ﷺ: «**إن الصدقة لا تنبغي** –وفي رواية- **لا تحل لآل محمد**»، أخرجه مسلم (١٠٧٢) من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه.

وآله الذين تحرم عليهم الصدقة هم: آل العباس، وآل جعفر، وآل علي، وآل عقيل، كما في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه في مسلم (٢٤٠٨)، وأيضًا آل الحارث كما في حديث المطلب رضي الله عنه المتقدم.

وأما دليل دخول أزواجه وذريته في آله ﷺ فهو حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في البخاري (٣٣٦٩) ومسلم (٤٠٧)، عن النبي ﷺ في كيفية الصلاة عليه قال: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته**» فهو يُعد تفسيرًا لحديث كعب بن عجرة رضي الله عنه وأمثاله الذي فيه: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**».

وأما تفسير آله ﷺ في الأحاديث بأتباعه أو المتقين فلا دليل له صحيح والله أعلم، وبهذا يظهر بطلان قول القائل:

آل النبي هم أتباع ملته ... من الأعاجم والسودان والعرب
لو لم يكن آله إلا قرابته ... صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

لكن لو ذكر الشخص الآل وقصد بهم أتباعه ﷺ المتقين فلا غبار عليه بلا ريب، والله

أعلم.

وانظر: بحثًا موسعًا لهذه المسألة من كتاب العلامة ابن القيم رحمه الله جلاء الأفهام (ص٢١٠-٢٢٨) فقد أفاد وأجاد.

❖ قوله: (وصحبه) جمع صاحب، وهو في اللغة يقع على من صحب قليلًا كان أو كثيرًا، زمنًا طويلًا أو ساعة. انظر: فتح المغيث (٤/ ٧٧-٧٨).

وأما في الاصطلاح: فهو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك، ولو تخللت ردة. انظر: نخبة الفكر للحافظ ابن حجر.

❖ وقوله: (وسلم أجمعين) دعاء بالسلامة والحفظ والرعاية للنبي ﷺ، وآله، وصحبه، بلا استثناء.

وهذا الحفظ لهم في حياتهم، ولدينه وما بلغه عنه حملته بعد مماتهم.

نسأل الله السلامة والعافية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه.

كتبه بحمد الله ومنّه وتوفيقه:

أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد باجمال

غرة رمضان عام ١٤٣٧هـ

مسجد الفرقان – الحوطة – حضرموت

نظم القواعد الأربع

قد يسر الله لي بمنِّه وكرمه نظم القواعد الأربع -دون مقدمتها- تسهيلًا لحفظها واستذكارها، وتيسيرًا في استحضار غزير معانيها، مشاركة منا في نشر الخير والتوحيد، والتحذير من الشرك ودعاة التنديد.

ورأيت تتميمًا للفائدة في شرح هذه الرسالة المباركة أن أختم بنظمها ليزداد جمالها، ويعم نفعها.

وإليك أخي القارئ نص المنظومة وهي ستة أبيات لا غير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا مَنْ يَرُوْمُ الْعِزَّ بِالتَّوْحِيْدِ ... اِحْذَرْ شِبَاكَ مُدَّعِيْ التَّنْدِيْدِ
بَيَانُهَا فِيْ الأَرْبَعِ القَوَاعِدِ ... لِنَجْمِ نَجْدٍ صَائِدِ الفَوَائِدِ
أَوَّلُهَا: أَنَّ الَّذِيْنَ قُوْتِلُوْا ... فِيْ فِعْلِ ربي أَفْرَدُوْا لَمْ يُشْرِكُوْا
وَالثَّانِ: نَوْعُ شِرْكِهِمْ شَفَاعَةْ ... يَرْجُوْنَهَا مِنْ وَثَنٍ ضَرَاعَةْ
ثَالِثُهَا: مَعْبُوْدُهُمْ (إِنْسٌ) (حَجَرْ) ... أَوْ (كَوْكَبٌ) أَوْ (مَلَكٌ) (جِنٌّ) (شَجَرْ)
آخِرُهَا: شِرْكُ زَمَانِيْ أَغْلَظُ ... لِأَنَّهُ فِيْ كُلِّ حِيْنٍ فَاحْفَظُوا

نظمه:

أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد باجمال

ليلة ٢١/ صفر/ عام ١٤٣٢هـ

الفهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة الشارح ٥
نماذج من المخطوطة ٩
ترجمة موجزة عن المؤلف رحمه الله ١٠
مقدمة المصنف رحمه الله للقواعد الأربع ١٣
البسملة ١٥
اسم الله الكريم وعرشه العظيم ١٩
دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بتولي الله له ٢٢
دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالبركة ٢٥
دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بشكر العطاء ٢٧
دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالصبر عند البلاء ٣٠
دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالاستغفار من الذنب........ ٣٥
دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالرشد في الدين ٣٩
دعاء المصنف ربه لقارئ هذه القواعد وسامعها بالرشد لطاعة الله ٤٤
تعريف الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ٤٦
الحنيفية هي عبادة الله وحده مخلصًا له الدين ٤٩
دليل وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ٥٤
الفروق بين العلم والمعرفة ٦٠
لا عبادة مقبولة إلا بالتوحيد ٦٣

الشرك مفسد للعبادة، كالحدث مفسد للطهارة ٦٦
الدلائل على أهمية معرفة الشرك ٧٠
القواعد الأربع مأخوذة من القرآن ٧٤
القاعدة الأولى ٧٧
حال الكافرين الذين قاتلهم رسول الله ٧٨
المشركون لا ينكرون أن الله هو الرازق ٨١
المشركون لا ينكرون أن الله هو المحيي المميت ٨٤
المشركون لا ينكرون أن الله هو المدبر ٨٧
دليل القاعدة الأولى ٩٠
القاعدة الثانية ٩٤
مقصد المشركين من دعاء آلهتهم ٩٦
دواعي وقوع المشركين في طلب القربة والشفاعة من آلهتهم والجواب عليها ... ٩٩
الإجابة على السبب الثاني ١٠٢
الإجابة على السبب الثالث ١٠٦
دليل القربة ١٠٩
دليل الشفاعة وبيان أقسامها ١١١
الشفاعة المنفية ١١٤
الشفاعة المثبتة ١١٧

شروط الشفاعة ١٢٢
القاعدة الثالثة ١٢٤
تنوع معبودات المشركين في زمن رسول الله ١٢٧
دليل عبادة فئام من الناس الشمس والقمر ١٣١
دليل عبادة فئام من الناس الملائكة ١٣٤
دليل عبادة فئام من الناس الأنبياء ١٣٧
دليل عبادة فئام من الناس الصالحين ١٤١
الدليل القرآني في عبادة فئام من الناس الأشجار والأحجار ١٤٤
الدليل النبوي في عبادة فئام من الناس الأشجار ١٤٧
القاعدة الرابعة ١٥٢
بيان غلظ شرك المتأخرين ١٥٣
الدليل على غلظ شرك المتأخرين ١٥٦
بيان أن من دعا غير الله فقد عبده ١٦١
نظم القواعد الأربع ١٦٨
فهرس الموضوعات ١٦٩

تم بحمد الله